سورة النازعات

لأبي الحسن محمد بن حسن بن عباس

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين أجمعين

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

أَسْمَاءُ السُّورَةِ:-

١- سُمِّيَتْ هَذِهِ السُّورَةُ فِي الْمَصَاحِفِ وَأَكْثَرِ التَّفَاسِيرِ «سُورَةُ النَّازِعَاتِ» بِإِضَافَةِ «سُورَة» إِلَى «النَّازِعَات» بِدُونِ وَاوٍ، وَجَعْلِ لَفْظِ «النَّازِعَات» عَلَمًا عَلَيْهَا؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُذْكَرْ فِي غَيْرِهَا.

٢- وَعُنْوِنَتْ فِي كِتَابِ التَّفْسِيرِ فِي «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» وَفِي كَثِيرٍ مِنْ كُتُبِ الْمُفَسِّرِينَ بِسُورَةِ «وَالنَّازِعَاتِ» بِإِثْبَاتِ الْوَاوِ عَلَى حِكَايَةِ أَوَّلِ أَلْفَاظِهَا.

٣- وَقِيلَ إِنَّهَا تُسَمَّى «سُورَةُ السَّاهِرَةِ»؛ لِوُقُوعِ لَفْظِ «السَّاهِرَة» فِي أَثْنَائِهَا، وَلَمْ يَقَعْ فِي غَيْرِهَا مِنَ السُّوَرِ.

٤- وَتُسَمَّى «سُورَةُ الطَّامَّةِ»؛ لِوُقُوعِ لَفْظِ الطَّامَّةِ فِيهَا، وَلَمْ يَقَعْ فِي غَيْرِهَا(١).

تَرْتِيبُ النُّزُولِ:-

وَهِيَ مَعْدُودَةٌ: الْحَادِيَةَ وَالثَّمَانِينَ فِي تَرْتِيبِ النُّزُولِ.

نَزَلَتْ بَعْدَ «سُورَة النَّبَأِ» وَقَبْلَ سُورَةِ الِانْفِطَارِ.

(١) «نَظْمُ الدُّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الآيَاتِ وَالسُّوَرِ» (٢١/ ٢١٧)، (التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ، ج ٣٠، ص ٥٩).

أَغْرَاضُ السُّورَةِ:-

بَيَانُ أَوَاخِرِ أَمْرِ الإِنْسَانِ، وَالتَّفْرِقَةُ بَيْنَ حَالِ الأَتْقِيَاءِ وَالأَشْقِيَاءِ حَالَ نَزْعِ أَرْوَاحِهِمْ، وَاشْتَمَلَتْ عَلَى إِثْبَاتِ الْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ، وَإِبْطَالُ إِحَالَةِ الْمُشْرِكِينَ وُقُوعَهُ وَتَهْوِيلَ يَوْمِهِ، وَمَا يَعْتَرِي النَّاسَ حِينَئِذٍ مِنَ الْوَهْلِ، وَإِبْطَالُ قَوْلِ الْمُشْرِكِينَ بِتَعَذُّرِ الإِحْيَاءِ بَعْدَ انْعِدَامِ الأَجْسَادِ، وَعُرِّضَ بِأَنَّ نُكْرَانَهُمْ إِيَّاهُ مُنْبَعِثٌ عَنْ طُغْيَانِهِمْ، فَكَانَ الطُّغْيَانُ صَادًّا لَهُمْ عَنِ الإِصْغَاءِ إِلَى الإِنْذَارِ بِالْجَزَاءِ، فَأَصْبَحُوا آمِنِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ، غَيْرَ مُتَرَقِّبِينَ حَيَاةً بَعْدَ هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، بِأَنَّ جُعِلَ مَثَلُ طُغْيَانِهِمْ كَطُغْيَانِ فِرْعَوْنَ وَإِعْرَاضِهِ عَنْ دَعْوَةِ مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، وَإِنَّ لَهُمْ فِي ذَلِكَ عِبْرَةً وَتَسْلِيَةً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَانْعَطَفَ الْكَلَامُ إِلَى الاِسْتِدْلَالِ عَلَى إِمْكَانِ الْبَعْثِ، بِأَنَّ خَلْقَ الْعَالَمِ وَتَدْبِيرَ نِظَامِهِ أَعْظَمُ مِنْ إِعَادَةِ الْخَلْقِ[١].

هَلِ السُّورَةُ مَكِّيَّةٌ أَمْ مَدَنِيَّةٌ؟

مَكِّيَّةٌ بِإِجْمَاعِ الْعُلَمَاءِ، نَقَلَ الإِجْمَاعَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ، وَالْقُرْطُبِيُّ[٢].

مُنَاسَبَةُ السُّورَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

* الوَجْهُ الأَوَّلُ:

أَوَّلُهَا يُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ قَسَمًا؛ لِتَحْقِيقِ مَا فِي آخِرِ سُورَةِ عَمَّ[٣].

---

(١) «نَظْمُ الدُّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الآيَاتِ وَالسُّوَرِ» (٢١/ ٢١٧) (التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ، ج ٣٠، ص ٥٩-٦٠).

(٢) «تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ» (١٩/ ١٩٠).

(٣) (أَسْرَارُ تَرْتِيبِ الْقُرْآنِ، السِّيُوطِيُّ، ص ١٥٣، ط دَارِ الْفَضِيلَةِ).

* **الوَجْهُ الثَّانِي:**

لَمَّا أَوْضَحَتِ «سُورَةُ النَّبَأِ» حَالَ الكَافِرِ بِقَوْلِهِ: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾[النبأ:٤٠]، بَيَّنَتْ «سُورَةُ النَّازِعَاتِ» حَالَهُ فِي الدُّنْيَا: ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ﴾ [النَّازِعَاتُ: ١٠] الآيَةَ[1].

* **الوَجْهُ الثَّالِثُ:**

«سُورَةُ النَّبَأِ» تَنْتَهِي بِوَعِيدٍ بِعَذَابِ الكَافِرِ، وَلِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ: مَتَى هَذَا الوَعِيدُ؟ وَ «سُورَةُ النَّازِعَاتِ» فِيهَا بِدَايَةُ هَذَا الوَعِيدِ، وَالَّذِي يَبْدَأُ بِنَزْعِ رُوحِ الكَافِرِ.

* **الوَجْهُ الرَّابِعُ:**

لَمَّا أَوْضَحَتْ «سُورَةُ النَّبَأ» حَالَ الكَافِرِ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾[النبأ:٤٠].

* **الوَجْهُ الخَامِسُ:**

لَمَّا ذَكَرَ سُبْحَانَهُ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَيَتَمَنَّى الكَافِرُ العَدَمَ، أَقْسَمَ فِي أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ بِنَزْعِ الأَرْوَاحِ عَلَى الوَجْهِ الَّذِي ذَكَرَهُ بِأَيْدِي المَلَائِكَةِ -عَلَيْهِمُ السَّلَامُ-[2].

---

(١) «نَظْمُ الدُّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الآيَاتِ وَالسُّوَرِ» (٢١/ ٢٢١).

(٢) «نَظْمُ الدُّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الآيَاتِ وَالسُّوَرِ» (٢١/ ٢١٧).

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾ [النَّازِعَاتُ: ١-٥].

هَذِهِ خَمْسُ آيَاتٍ يُقْسِمُ اللهُ فِيهَا بِالمَلَائِكَةِ وَأَعْمَالِهَا عَلَى صِدْقِ البَعْثِ.

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا﴾ [النَّازِعَاتُ: ١-٢] .

المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ لِلْآيَاتِ:

إِذَا جَاءَتِ المَلَائِكَةُ؛ لِتَقْبِضَ رُوحَ الْمُؤْمِنِ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ، فَحِينَهَا يُحِبُّ لِقَاءَ اللهِ، فَتَخْرُجُ الرُّوحُ مُسْرِعَةً، أَمَّا الكَافِرُ؛ فَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، وَيُخَيَّلُ لَهُ أَنَّهُ يَغْرَقُ، فَكَأَنَّ الرُّوحَ تَهْرَبُ فِي الجَسَدِ فَتُنْزَعُ بِشِدَّةٍ، فَيَجْمَعُ اللهُ عَلَيْهِ بَيْنَ شِدَّةِ النَّزْعِ، وَالخَوْفِ مِنَ الغَرَقِ.

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: يَجِيءُ مَلَكُ الْموْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللهِ وَغَضَبٍ، قَالَ: فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمبْلُولِ[(١)].

(١) (رَوَاهُ أَحْمَدُ، ١٥٨٣٤).

[النَّازِعَات: ١]

فِيهَا سَبْعَةُ أَقْوَالٍ:

* **أَحَدُهَا:** أَنَّهَا المَلَائِكَةُ، تَنْزِعُ أَرْوَاحَ الكُفَّارِ، قَالَهُ عَلِيٌّ، وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَرَوَى عَطِيَّةُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: هِيَ المَلَائِكَةُ، تَنْزِعُ نُفُوسَ بَنِي آدَمَ[١].

* **وَالثَّانِي:** أَنَّهُ المَوْتُ، يَنْزِعُ النُّفُوسَ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ[٢].

* **وَالثَّالِثُ:** أَنَّهَا النَّفْسُ حِينَ تُنْزَعُ، قَالَهُ السُّدِّيُّ[٣].

* **وَالرَّابِعُ:** أَنَّهَا النُّجُومُ، تُنْزَعُ مِنْ أُفُقٍ إِلَى أُفُقٍ تَطْلُعُ ثُمَّ تَغِيبُ، قَالَهُ الحَسَنُ، وَقَتَادَةُ[٤]، وَأَبُو عُبَيْدَةَ، وَالأَخْفَشُ، وَابْنُ كَيْسَانَ.

* **وَالخَامِسُ:** أَنَّهَا القِسِيُّ، تُنْزَعُ بِالسَّهْمِ، قَالَهُ عَطَاءٌ[٥]، وَعِكْرِمَةُ.

* **وَالسَّادِسُ:** أَنَّهَا الوُحُوشُ، تُنْزَعُ وَتُنْفَرُ، حَكَاهُ المَاوَرْدِيُّ عَنْ يَحْيَى ابْنِ سَلَّامٍ[٦].

(١) (تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ، ٢٤/ ٥٧).
(٢) (تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ، ٢٤/ ٥٨).
(٣) (تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ، ٢٤/ ٥٩).
(٤) (تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ، ٢٤/ ٥٨).
(٥) (تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ، ٢٤/ ٥٩).
(٦) «تَفْسِيرُ المَاوَرْدِيِّ، النُّكَتُ وَالعُيُونُ» (٦/ ١٩٢).

* **وَالسَّابِعُ**: أَنَّهَا الرُّمَاةُ، حَكَاهُ الثَّعْلَبِيُّ.

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿غَرْقًا﴾ [النَّازِعَاتُ: ١]: اسْمٌ أُقِيمَ مَقَامَ الإِغْرَاقِ، قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: وَالمَعْنَى: وَالنَّازِعَاتِ إِغْرَاقًا، كَمَا يَغْرَقُ النَازِعُ فِي القَوْسِ، يَعْنِي: أَنَّهُ يَبْلُغُ بِهِ غَايَةَ المَدِّ[١]، وَقِيلَ: يَرَى الكَافِرُ نَفْسَهُ وَقْتَ النَّزْعِ كَأَنَّهُ يَغْرَقُ.

الْغَرْقُ وَالْإِغْرَاقُ فِي اللُّغَةِ بِمَعْنًى وَاحِدٍ.

قَالَ الطَّبَرِيُّ: وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ -تَعَالَى ذِكْرُهُ- أَقْسَمَ بِالنَّازِعَاتِ غَرْقًا، وَلَمْ يُخَصِّصْ نَازِعَةً دُونَ نَازِعَةٍ، فَكُلُّ نَازِعَةٍ غَرْقًا، فَدَاخِلَةٌ فِي قَسَمِهِ، مَلَكًا كَانَ أَوْ مَوْتًا، أَوْ نَجْمًا، أَوْ قَوْسًا، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ.

وَالْمعْنَى: وَالنَّازِعَاتِ إِغْرَاقًا، كَمَا يَغْرَقُ النَّازِعُ فِي الْقَوْسِ[٢].

وَالرَّاجِحُ هُوَ القَوْلُ الأَوَّلُ؛ لِمَا سَيَأْتِي، وَبِهِ قَالَ أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ.

قَالَ الوَاحِدِيُّ: أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى أَنَّ هَذَا قَسَمٌ بِمَلَكِ المَوْتِ، وَأَعْوَانِهِ مِنَ المَلَائِكَةِ الَّذِينَ يَنْزِعُونَ أَرْوَاحَ الكُفَّارِ عَنْ أَبْدَانِهِمْ[٣].

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ: أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى أَنَّهَا المَلَائِكَةُ الَّتِي تَنْزِعُ أَرْوَاحَ بَنِي

---

(١) (زَادُ المَسِيرِ ص ١٥١٠).

(٢) (الطَّبَرِيّ، ٢٤/ ٥٩).

(٣) (البَسِيطُ، ج ٢٣، ص ١٤).

آدَمَ مِنْ أَجْسَامِهِمْ، وَهُمْ جَمَاعَةٌ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعام: ٦١]، وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [النِّسَاء: ٩٧][١].

﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا﴾ [النَّازِعَاتُ: ٢]

وَالنَّشْطُ: الْجَذْبُ بِسُرْعَةٍ[٢].

وَفِيهَا خَمْسَةُ أَقْوَالٍ:-

* أَحَدُهَا: أَنَّهَا الْمَلَائِكَةُ، ثُمَّ فِي مَعْنَى الكَلَامِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا حِينَ تُنْشِطُ أَرْوَاحَ الكُفَّارِ حَتَّى تُخْرِجَهَا بِالكَرْبِ وَالغَمِّ، قَالَهُ عَلِيٌّ رضي الله عنه.

وَقَالَ مُقَاتِلٌ: هُمْ مَلَكُ المَوْتِ وَأَعْوَانُهُ، يَنْزِعُونَ رُوحَ الكَافِرِ، كَمَا يُنْزَعُ السُّفُودُ الكَثِيرُ الشُّعَبِ مِنَ الصُّوفِ المُبْتَلِّ، فَتَخْرُجُ نَفْسُهُ، كَالغَرِيقِ فِي المَاءِ[٣].

* وَالثَّانِي: أَنَّهَا تُنْشِطُ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ بِسُرْعَةٍ كَمَا يُنْشَطُ العِقَالُ مِنْ يَدِ البَعِيرِ إِذَا حَلَّ عَنْهَا، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ.

وَقَالَ الفَرَّاءُ: الَّذِي سَمِعْتُهُ مِنَ العَرَبِ: كَأَنَّمَا أُنْشِطَ مِنْ عِقَالٍ، بِأَلِفٍ.

---

(١) (التِّبْيَانُ فِي أَيْمَانِ القُرْآنِ، ص ٢٠٧).

(٢) «تَفْسِيرُ القُرْطُبِيِّ» (١٩/ ١٩١).

(٣) (الكَشْفُ وَالبَيَانِ، ٢٨/ ٣٦٢).

تَقُولُ: إِذَا رَبَطْتَ الحَبْلَ فِي يَدِ البَعِيرِ: نَشَطْتُهُ، فَإِذَا حَلَلْتَهُ قُلْتَ: أَنْشَطْتُهُ[١].

* **وَالقَوْلُ الثَّانِي:** أَنَّهَا أَنْفُسُ المُؤْمِنِينَ، تَنْشَطُ عِنْدَ المَوْتِ لِلْخُرُوجِ، وَهَذَا مَرْوِيٌّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا، وَذَلِكَ لِأَنَّ المُؤْمِنَ يَرَى مَنْزِلَهُ مِنَ الجَنَّةِ قَبْلَ المَوْتِ، فَتَنْشَطُ نَفْسُهُ لِذَلِكَ[٢].

* **وَالثَّالِثُ:** أَنَّ النَّاشِطَاتِ: المَوْتُ يُنَشِّطُ نَفْسَ الإِنْسَانِ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ.

* **وَالرَّابِعُ:** النُّجُومُ تَنْشَطُ مِنْ أُفُقٍ إِلَى أُفُقٍ -أَيْ: تَذْهَبُ-، قَالَهُ قَتَادَةُ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ[٣].

* **وَالخَامِسُ:** أَنَّهَا النَّفْسُ حِينَ تَنْشَطُ بِالمَوْتِ، قَالَهُ السُّدِّيُّ[٤].

وَرَجَّحَ الطَّبَرِيُّ العُمُومَ عَلَى عَادَتِهِ، فَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- أَقْسَمَ بِالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا، وَهِيَ الَّتِي تَنْشُطُ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ، فَتَذْهَبُ إِلَيْهِ، وَلَمْ يُخَصِّصِ اللهُ بِذَلِكَ شَيْئًا دُونَ شَيْءٍ، بَلْ عَمَّ الْقَسَمَ بِجَمِيعِ النَّاشِطَاتِ، وَالْملائِكَةُ تَنْشُطُ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ، وَكَذَلِكَ الْموْتُ، وَكَذَلِكَ النُّجُومُ وَالْأَوْهَاقُ

---

(١) (الطَّبَرِيُّ، ٢٤/ ٦٠).
(٢) (الطَّبَرِيُّ، ٢٤/ ٦٠).
(٣) (الطَّبَرِيُّ، ٢٤/ ٦١).
(٤) «تَفْسِيرُ المَاوَرْدِيِّ، النُّكَتُ وَالعُيُونُ» (٦/ ١٩٣).

وَبَقَرُ الْوَحْشِ أَيْضًا تَنْشُطُ(١).

وَالأَوْلَى قَوْلُ مَنْ قَالَ أَنَّهَا المَلَائِكَةُ الَّتِي تَقْبِضُ أَرْوَاحَ المُؤْمِنِينَ، وَذَلِكَ لِمُقَابَلَتِهَا بِالنَّازِعَاتِ، وَهِيَ المَلَائِكَةُ الَّتِي تَنْزِعُ أَرْوَاحَ الكَافِرِينَ.

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ، أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ، كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ»، قَالَتْ عَائِشَةُ أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ: إِنَّا لَنَكْرَهُ المَوْتَ، قَالَ: «لَيْسَ ذَاكِ، وَلَكِنَّ المُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ المَوْتُ، بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللهِ وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ وَأَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الكَافِرَ إِذَا حُضِرَ، بُشِّرَ بِعَذَابِ اللهِ وَعُقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ وَكَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ»(٢).

فَائِدَةٌ:

كُلُّ حَدِيثٍ فِيهِ أَنَّ مَلَكَ المَوْتِ اسْمُهُ عِزْرَائِيلُ حَدِيثٌ ضَعِيفٌ.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: وَأَمَّا مَلَكُ الْموْتِ فَلَيْسَ بِمُصَرَّحٍ بِاسْمِهِ فِي الْقُرْآنِ، وَلَا فِي الْأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ، وَقَدْ جَاءَ تَسْمِيَتُهُ فِي بَعْضِ الْآثَارِ بِعِزْرَائِيلَ، وَاللهُ أَعْلَمُ(٣).

---

(١) (الطَّبَرِيُّ، ٢٤/ ٦١).

(٢) (رَوَاهُ البُخَارِيُّ، ٦٥٠٧).

(٣) «البِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ، ط هَجَر» (١/ ١٠٦).

﴿ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ﴾ [النَّازِعَاتُ: ١] فِيهَا سِتَّةُ أَقْوَالٍ:

* **أَحَدُهَا:** أَنَّهَا المَلَائِكَةُ، تَسْبَحُ بِأَرْوَاحِ المُؤْمِنِينَ، قَالَهُ عَلِيٌّ رضي الله عنه.

* **وَالثَّانِي:** أَنَّهُمُ المَلَائِكَةُ، يَنْزِلُونَ مِنَ السَّمَاءِ مُسْرِعِينَ، كَمَا يُقَالُ لِلْفَرَسِ الجَوَادِ: سَابِحٌ: إِذَا أَسْرَعَ فِي جَرْيِهِ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ، وَأَبُو صَالِحٍ، وَالفَرَّاءُ.

* **وَالثَّالِثُ:** أَنَّهُ المَوْتُ، يَسْبَحُ فِي نُفُوسِ بَنِي آدَمَ، رُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ أَيْضًا.

* **وَالرَّابِعُ:** أَنَّهَا السُّفُنُ، تَسْبَحُ فِي المَاءِ، قَالَهُ عَطَاءٌ[١].

* **وَالخَامِسُ:** أَنَّهَا النُّجُومُ، وَالشَّمْسُ، وَالقَمَرُ، ﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [الأنبياء:٣٣]، قَالَهُ قَتَادَةُ[٢]، وَأَبُو عُبَيْدَةَ.

* **وَالسَّادِسُ:** أَنَّهَا الخَيْلُ، حَكَاهُ المَاوَرْدِيُّ عَنِ ابْنِ شَجَرَةَ[٣].

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: هِيَ أَنْفُسُ المُؤْمِنِينَ، تَسْبِقُ إِلَى المَلَائِكَةِ الَّذِينَ يَقْبِضُونَهَا، وَقَدْ عَايَنَتِ السُّرُورَ؛ شَوْقًا إِلَى لِقَاءِ اللهِ تَعَالَى وَرَحْمَتِهِ وَكَرَامَتِهِ[٤].

وَرَجَّحَ الطَّبَرِيُّ العُمُومَ فَقَالَ: وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَقْسَمَ بِالسَّابِحَاتِ سَبْحًا مِنْ خَلْقِهِ، وَلَمْ يُخَصِّصْ مِنْ ذَلِكَ بَعْضًا دُونَ بَعْضٍ، فَذَلِكَ كُلُّ سَابِحٍ، لِمَا وَصَفْنَا قَبْلُ فِي النَّازِعَاتِ.

وَالمُخْتَارُ مِنْهَا: أَنَّهَا المَلَائِكَةُ؛ لِأَنَّ الآيَاتِ السَّابِقَةَ وَاللَّاحِقَةَ عَنْهُمْ.

---

(١) (الطَّبَرِيُّ، ٢٤/ ٦٣).

(٢) (الطَّبَرِيُّ، ٢٤/ ٦٣).

(٣) «تَفْسِيرُ المَاوَرْدِيِّ، النُّكَتُ وَالعُيُونُ» (٦/ ١٩٣).

(٤) (الكَشْفُ وَالبَيَانُ، ٢٤/ ٣٧٣).

الحِكْمَةُ فِي وَصْفِ المَلَائِكَةِ بِالسَّابِحَاتِ:

لِأَنَّهَا غَايَةٌ فِي السُّرْعَةِ؛ لِأَنَّهَا لَا عَائِقَ لَهَا، بَلْ قَدْ أَقْدَرَهَا اللهُ عَلَى النُّفُوذِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، كَمَا أَقْدَرَ السَّابِحَ فِي المَاءِ وَالهَوَاءِ[١].

﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا﴾ [النَّازِعَاتُ: ٤] فِيهَا خَمْسَةُ أَقْوَالٍ:

- **القَوْلُ الأَوَّلُ**: أَنَّهَا المَلَائِكَةُ، ثُمَّ فِي مَعْنَى الكَلَامِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

* **أَحَدُهَا**: أَنَّهَا تَسْبِقُ الشَّيَاطِينَ بِالوَحْيِ إِلَى الأَنْبِيَاءِ، قَالَهُ عَلِيٌّ رضي الله عنه وَمَسْرُوقٌ.

* **الثَّانِي**: أَنَّهَا تَسْبِقُ بِأَرْوَاحِ المُؤْمِنِينَ إِلَى الجَنَّةِ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ، وَأَبُو رَوْقٍ.

* **وَالثَّالِثُ**: سَبَقَتْ بَنِي آدَمَ إِلَى الإِيمَانِ، قَالَهُ الحَسَنُ.

- **وَالقَوْلُ الثَّانِي**: عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: هِيَ أَنْفُسُ المُؤْمِنِينَ، تَتَسَارَعُ وَتَسْبِقُ إِلَى الْـمَلَائِكَةِ الَّذِينَ يَقْبِضُونَهَا؛ شَوْقًا إِلَى لِقَاءِ اللهِ وَكَرَامَتِهِ، وَقَدْ عَايَنَتِ السُّرُورَ[٢].

- **وَالقَوْلُ الثَّالِثُ**: أَنَّهُ المَوْتُ، يَسْبِقُ إِلَى النُّفُوسِ، رُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ أَيْضًا[٣].

- **وَالقَوْلُ الرَّابِعُ**: أَنَّهَا الخَيْلُ، قَالَهُ عَطَاءٌ[٤].

- **وَالقَوْلُ الخَامِسُ**: أَنَّهَا النُّجُومُ، يَسْبِقُ بَعْضُهَا بَعْضًا فِي السَّيْرِ، قَالَهُ قَتَادَةُ[٥].

---

(١) انْظُرْ: «نَظْمُ الدُّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الآيَاتِ وَالسُّوَرِ» (٢١/ ٢١٩).

(٢) (تَفْسِيرُ البَغَوِيِّ)، «تَفْسِيرُ القُرْطُبِيِّ» (١٩/ ١٩٣).

(٣) (الطَّبَرِيُّ، ٢٤/ ٦٤).

(٤) (الطَّبَرِيُّ، ٢٤/ ٦٤).

(٥) (الطَّبَرِيُّ، ٢٤/ ٦٤) وَانْظُرْ لِهَذِهِ الأَقْوَالِ: «تَفْسِيرُ المَاوَرْدِيِّ، النُّكَتُ وَالعُيُونُ» (٦/ ١٩٣).

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ: لَوْ أَنَّ قَائِلَ هَذَا القَوْلِ فَسَّرَ «السَّابِقَات» بِالمَلَائِكَةِ الَّتِي تَسْبِقُ الشَّيَاطِينَ بِالرَّجْمِ بِالشُّهُبِ قَبْلَ إِلْقَائِهِ الكَلِمَةَ الَّتِي اسْتَرَقَهَا لَكَانَ لَهُ وَجْهٌ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يُدْبِرُ مُسْرِعًا لِإِلْقَاءِ مَا اسْتَرَقَهُ إِلَى وَلِيِّهِ، فَتَسْبِقُهُ المَلَائِكَةُ فِي نُزُولِهِ بِالشُّهُبِ الثَّوَاقِبِ فتُهْلِكُهُ، وَرُبَّمَا أَلْقَى الكَلِمَةَ قَبْلَ إِدْرَاكِ الشِّهَابِ لَهُ[1].

﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾ [النَّازِعَاتُ: ٥]

لَمْ يُخْتَلَفْ فِي أَنَّهَا المَلَائِكَةُ، تُدَبِّرُ أَمْرَ العَالَمِ العُلْوِيِّ، وَأَمْرَ العَالَمِ السُّفْلِيِّ بِإِذْنِ رَبِّهَا.

قَالَ الْقُشَيْرِيُّ: أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ الْـملَائِكَةُ[2].

قَالَ الوَاحِدِيُّ: أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ المُرَادَ بِهَا فِي المَلَائِكَةِ[3].

قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: أَمَّا «المُدَبِّرَاتُ»؛ فَلَا أَحْفَظُ خِلَافًا أَنَّهَا المَلَائِكَةُ، وَمَعْنَاهُ: أَنَّهَا تُدَبِّرُ الأُمُورَ الَّتِي سَخَّرَهَا اللهُ تَعَالَى وَصَرَّفَهَا فِيهَا؛ كَالرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ وَسَائِرِ المَخْلُوقَاتِ[4].

(١) (التِّبْيَانُ، ص ٢١٣).

(٢) «تَفْسِيرُ القُرْطُبِيِّ» (١٩/ ١٩٤).

(٣) «التَّفْسِيرُ البَسِيطُ» (٢٣/ ١٦٧).

(٤) «تَفْسِيرُ ابْنِ عَطِيَّةَ، المُحَرَّرُ الوَجِيزُ فِي تَفْسِيرِ الكِتَابِ العَزِيزِ» (٥/ ٤٣١)، وَانْظُرْ أَيْضًا: (تَفْسِيرُ مَفَاتِيحِ الغَيْبِ).

وَفِي الحَدِيثِ: «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ».

- (جِبْرِيلُ): مُكَلَّفٌ بِالوَحْيِ، يَنْزِلُ بِهِ بِأَمْرِ اللهِ.

- (إِسْرَافِيلُ): يَنْفُخُ فِي الصُّورِ.

- (مَلَكُ المَوْتِ): مُوَكَّلٌ بِقَبْضِ الأَرْوَاحِ؛ وَمَا مِنْ مَلَكٍ إِلَّا وَلَهُ وَظِيفَةٌ.

وَقِيلَ: تَنْزِلُ بِالحَلَالِ وَالحَرَامِ، وَهَذَا جُزْءٌ مِنْ وَظِيفَتِهَا.

وَجَوَابُ هَذِهِ الأَقْسَامِ فِيهِ أَجْوِبَةٌ:-

* أَحَدُهَا: أَنَّ الجَوَابَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾ [النَّازِعَاتُ:٢٦]، قَالَهُ مُقَاتِلٌ وَالتِّرْمِذِيُّ ابْنُ عَلِيٍّ: أَيْ فِيمَا قَصَصْتُ مِنْ ذِكْرِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَذِكْرِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى[١].

* وَالثَّانِي: أَنَّ الجَوَابَ مُضْمَرٌ، تَقْدِيرُهُ: لَتُبْعَثُنَّ، وَلَتُحَاسَبُنَّ، وَيَدُلُّ عَلَى هَذَا قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً﴾ [النَّازِعَاتُ:١١]، قَالَهُ الفَرَّاءُ[٢].

* الثَّالِثُ: وَقِيلَ: الْجَوَابُ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ عَلَى تَقْدِيرِ لَيَوْمَ تَرْجُفُ، فَحَذَفَ اللَّامَ[٣].

(١) «تَفْسِيرُ القُرْطُبِيِّ» (١٩/ ١٩٥).

(٢) «زَادُ المَسِيرِ فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ» (٤/ ٣٩٤).

(٣) «تَفْسِيرُ القُرْطُبِيِّ» (١٩/ ١٩٥).

﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ٧ قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ٨ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ ٩ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ ١١ قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ ١٢ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ ١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ [النَّازِعَاتُ:٦-١٤]

هَذِهِ تِسْعُ آيَاتٍ تَتَحَدَّثُ عَنْ يَوْمِ القِيَامَةِ.

﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ٧﴾ [النَّازِعَاتُ:٦-٧] **نَفْخَتَانِ فِي الصُّورِ:**

- وَاحِدَةٌ بِهَا يَمُوتُ كُلُّ الخَلَائِقِ، وَهِيَ الرَّاجِفَةُ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهَا تُمِيتُ الخَلْقَ كُلَّهُمْ، كَقَوْلِهِ: ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ﴾ [الأعراف:٧٨][1].

وَأَصْلُ الرَّجْفَةِ: الصَّوْتُ وَالحَرَكَةُ، وَمِنْهُ سُمِّيَتِ الأَرَاجِيفُ؛ لِاضْطِرَابِ الأَصْوَاتِ بِهَا، وَإِفَاضَةِ النَّاسِ فِيهَا[2].

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ﴾ [النَّازِعَاتُ:٦].

«تَرْجُفُ» بِمَعْنَى: تَتَحَرَّكُ حَرَكَةً شَدِيدَةً، ﴿تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ [النَّازِعَاتُ:٧]، وَهِيَ: النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ، رَدِفَتِ الأُولَى، أَيْ: جَاءَتْ بَعْدَهَا، وَكُلُّ شَيْءٍ جَاءَ بَعْدَ شَيْءٍ فَهُوَ يَرْدُفُه. (زَادُ المَسِيرِ)

---

(١) «تَفْسِيرُ مُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ» (٤/ ٥٧٤).

(٢) (الكَشْفُ وَالبَيَانُ، ٢٨/ ٣٧٧).

۞ **عَنِ الطُّفَيْلِ بْنِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ:** كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اذْكُرُوا اللَّهَ، اذْكُرُوا اللَّهَ، جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ، تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ الْـمَوْتُ بِمَا فِيهِ، جَاءَ الْـمَوْتُ بِمَا فِيهِ، قَالَ أُبَيُّ ابْنُ كَعْبٍ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ، فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ فَقَالَ: مَا شِئْتَ. قَالَ: قُلْتُ: الرُّبُعَ، قَالَ: مَا شِئْتَ؛ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، قُلْتُ: النِّصْفَ، قَالَ: مَا شِئْتَ؛ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، قَالَ: قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ، قَالَ: مَا شِئْتَ؛ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا قَالَ: إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ[1]

- يَنْفُخُ إِسْرَافِيلُ فِي الصُّورِ نَفْخَتَيْنِ بَيْنَهُمَا أَرْبَعِينَ، بِالنَّفْخَةِ الأُولَى تَمُوتُ كُلُّ الخَلَائِقِ، وَبِالثَّانِيَةِ يُبْعَثُونَ.

۞ **عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:** كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ القَرْنِ قَدِ التَقَمَ القَرْنَ وَاسْتَمَعَ الإِذْنَ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ، فَكَأَنَّ ذَلِكَ ثَقُلَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لَهُمْ: قُولُوا: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ، عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا[2].

۞ **عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ، قَالَ:** جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: مَا الصُّورُ؟ قَالَ: قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ[3].

(١) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ. رَقْمُ: (٢٤٥٧).

(٢) (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، ٢٤٣١) وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

(٣) (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، ٢٤٣٢) وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

❁ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ» قَالَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: «ثُمَّ يُنْزِلُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ البَقْلُ، لَيْسَ مِنَ الإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الخَلْقُ يَوْمَ القِيَامَةِ» (خ): ٤٩٣٥

❁ عَنِ الحَسَنِ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِ اللهِ ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ [النَّازِعَاتُ:٦-٧] قَالَ: هُمَا النَّفْخَتَانِ؛ أَمَّا الأُولَى فَتُمِيتُ الأَحْيَاءَ، وَأَمَّا الثَّانِيَةُ فَتُحْيِي الْموْتَى، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الآيَةَ: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزُّمَر، الآيَة: ٦٨][1].

❁ وعَنْ قَتَادَةَ: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ۝٧﴾ [النَّازِعَاتُ:٦-٧]، قَالَ: هُمَا الصَّيْحَتَانِ؛ أَمَّا الأُولَى فَتُمِيتُ كُلَّ شَيْءٍ بِإِذْنِ اللهِ، وَأَمَّا الأُخْرَى فَتُحْيِي كُلَّ شَيْءٍ بِإِذْنِ اللهِ[2].

﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾[النَّازِعَات:٨]:

خَائِفَةٌ وَجِلَةٌ مِمَّا تُعَايِنُهُ مِنَ الأَهْوَالِ، هَذَا قَوْلُ عَامَّةِ المُفَسِّرِينَ، نَقَلَهُ عَنْهُمُ القُرْطُبِيُّ[3] -رَحِمَهُ اللهُ عَلَيْهِ-؛ كَقَوْلِ رَبِّنَا: ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى

(١) (الطَّبَرِيُّ: ٢٤/ ٦٦).
(٢) (الطَّبَرِيُّ: ٢٤/ ٦٦).
(٣) «تَفْسِيرُ القُرْطُبِيِّ» (١٩/ ١٩٦).

ٱلْحَنَاجِرِ﴾[غافر:١٨] القُلُوبُ قَلِقَةٌ، وَأَيُّ قَلَقٍ أَشَدُّ مِنْ هَذَا!

﴿أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ﴾ [النَّازِعَاتُ:٩]

وَنَظِيرُهَا: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَـٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [الشُّورَى:٤٥]، أَبْصَارُهَا مُنْكَسِرَةٌ ذَلِيلَةٌ، لِمَاذَا عَبَّرَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- عَنِ الانْكِسَارِ وَالذُّلِّ بِالبَصَرِ؟

قَالَ الطَّبَرِيُّ: «لِأَنَّ عِزَّ العَزِيزِ وَذُلَّ الذَّلِيلِ إِنَّمَا يَظْهَرُ فِي عَيْنَيْهِ».

قَالَ عَطَاءٌ: «هَذِهِ أَبْصَارُ مَنْ لَمْ يَمُتْ عَلَى الإِسْلَامِ»[١].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٍ: يَنْظُرُونَ إِلَى النَّارِ مِنْ طَرْفٍ ذَلِيلٍ، وَصَفَهُ اللهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- بِالخَفَاءِ لِلذِّلَّةِ الَّتِي قَدْ رَكِبَتْهُمْ، حَتَّى كَادَتْ أَعْيُنُهُمْ أَنْ تَغُورَ، فَتَذْهَبُ[٢].

والعَيْنُ هِيَ المِرْآةُ الَّتِي تَكْشِفُ عَمَّا فِي القَلْبِ[٣].

وَلَمَّا وَصَفَهَا بِالاِضْطِرَابِ وَالذُّلِّ، عَلَّلَهُ لِيَعْرِفَ مِنْهُ أَنَّ مَنْ يَقُولُ ضِدَّ قَوْلِهِمْ، يَكُونُ لَهُ ضِدُّ وَصْفِهِمْ مِنَ الثَّبَاتِ وَالسُّكُونِ وَالعِزِّ الظَّاهِرِ، فَقَالَ[٤]:

(١) «زَادُ المَسِيرِ فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ» (٤/ ٣٩٥).
(٢) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ، جَامِعُ البَيَانِ، ط هَجَر» (٢٠/ ٥٣٣).
(٣) (التَّفْسِيرُ العَقَدِيُّ لِجُزْءِ عَمَّ، ص ٥١).
(٤) «نَظْمُ الدُّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الآيَاتِ وَالسُّوَرِ» (٢١/ ٢٢٤).

﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ﴾ [النَّازِعَاتُ:١٠] فِي مَعْنَى الكَلَامِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

* **أَحَدُهَا**: إِنَّ الحَافِرَةَ: الحَيَاةُ بَعْدَ المَوْتِ.

وَالمَعْنَى: أَنَرْجِعُ أَحْيَاءً بَعْدَ مَوْتِنَا فَنَمْشِي عَلَى أَقْدَامِنَا؟!

وَهَذَا قَوْلُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَعَطِيَّةَ، وَالسُّدِّيِّ[١].

وَالعَرَبُ تَقُولُ: أَتَيْتُ فُلَانًا، ثُمَّ رَجَعْتُ عَلَى حَافِرَتِي، أَيْ: رَجَعْتُ مِنْ حَيْثُ جِئْتُ.

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: يُقَالُ: رَجَعَ فُلَانٌ فِي حَافِرَتِهِ، وَعَلَى حَافِرَتِهِ: إِذَا رَجَعَ مِنْ حَيْثُ جَاءَ، وَهَذَا قَوْلُ الزَّجَّاجِ.

* **وَالثَّانِي**: أَنَّهَا الأَرْضُ الَّتِي تُحْفَرُ فِيهَا قُبُورُهُمْ، فَسُمِّيتْ حَافِرَةً، وَالمَعْنَى: مَحْفُورَةٌ، كَمَا يُقَالُ: ﴿مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق:٦] وَ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [القارعة:٧] وَهَذَا قَوْلُ مُجَاهِدٍ وَالخَلِيلِ. فَيَكُونُ المَعْنَى: أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ إِلَى الأَرْضِ خَلْقًا جَدِيدًا؟!

وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: «فِي الحَافِرَةِ» أَيْ: إِلَى أَوَّلِ أَمْرِنَا.

وَمَنْ فَسَّرَهَا بِالأَرْضِ، فَإِلَى هَذَا يَذْهَبُ؛ لِأَنَّا مِنْهَا بَدَأْنَا، قَالَ الشَّاعِرُ:

أَحَافِرَةً عَلَى صَلَعٍ وَشَيْبٍ مَعَاذَ اللهِ مِنْ سَفَهٍ وَعَارِ

كَأَنَّهُ قَالَ: أَأَرْجِعُ إِلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ فِي شَبَابِي مِنَ الغَزَلِ وَالصِّبَا «بَعْدَ مَا شِبْتُ وَصَلَعْتُ».

* **وَالثَّالِثُ**: أَنَّ الحَافِرَةَ: النَّارُ، قَالَهُ ابْنُ زَيْدٍ.

(١) «تَفْسِيرُ القُرْطُبِيِّ» (١٩/ ١٩٧).

۞ قَالَ الطَّبَرِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- كُلُّ مَنْ رَجَعَ مِنْ حَيْثُ أَتَى؛ فَقَدْ رَجَعَ عَلَى حَافِرَتِهِ[١].

يَعْنِي: هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ الْمُنْكِرِينَ لِلْبَعْثِ مِنْ مُشْرِكِي مَكَّةَ، إِذَا قِيلَ لَهُمْ: إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ، قَالُوا: ﴿أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ [النَّازِعَاتُ:١٠]: أَيْ: إِلَى أَوَّلِ الحَالِ، وَابْتِدَاءِ الأَمْرِ، فَرَاجِعُونَ أَحْيَاءً كَمَا كُنَّا قَبْلَ مَمَاتِنَا؟!

وَقِيلَ: سُمِّيَتِ الأَرْضُ حَافِرَةً؛ لِأَنَّهَا مُسْتَقَرُّ الحَوَافِرِ[٢].

۞ قَالَ الوَاحِدِيُّ: أَنُرَدُّ إِلَى أَوَّلِ خَلْقِنَا وَابْتِدَاءِ أَمْرِنَا، فَنَصِيرُ أَحْيَاءً كَمَا كُنَّا؟!

وَهَذَا قَوْلُ جَمِيعِ أَهْلِ اللُّغَةِ وَالمَعَانِي.

وَالحَافِرَةُ عِنْدَ العَرَبِ: اسْمُ أَوَّلِ الشَّيْءِ، وَابْتِدَاءِ الأَمْرِ[٣].

---

(١) (الطَّبَرِيُّ، ٢٤/ ٧٠).
(٢) (الكَشْفُ وَالبَيَانُ، ٢٤/ ٣٨٥).
(٣) (البَسِيطُ، ج ٢٤، ص ١٦٠).

لِمَاذَا اسْتَبْعَدُوا البَعْثَ؟

اسْتَبْعَدُوهُ لِجَهْلِهِمْ بِقُدْرَةِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-.

﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً﴾ [النَّازِعَاتُ:١١]

بَالِيَةً، وَبِهِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ[١].

وَنَسَبَهُ الوَاحِدِيُّ لِأَكْثَرِ المُفَسِّرِينَ[٢].

بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ نَرْجِعُ إِلَى الدُّنْيَا؟!

﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ [النَّازِعَاتُ:١٢]

هَذَا اسْتِهْزَاءٌ مِنْهُمْ، يَقُولُونَ: لَوْ رَجَعْنَا لَنَخْسَرَنَّ، وَهَذَا لَنْ يَكُونَ أَبْدًا.

وَلَعَلَّهُ عَبَّرَ بِالمَاضِي لِأَنَّهُمْ مَا سَمَحُوا بِهَذَا القَوْلِ إِلَّا مَرَّةً مِنَ الدَّهْرِ، وَأَمَّا أَغْلَبُ قَوْلِهِمْ؛ فَكَانَ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ عَلَى تَقْدِيرِ البَعْثِ أَسْعَدُ مِنَ المُؤْمِنِينَ عَلَى قِيَاسِ مَا هُمْ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَنَحْوِ هَذَا مِنَ الكَذِبِ عَلَى اللهِ[٣].

(١) (الطَّبَرِيُّ، ٢٤/ ٧٢).

(٢) (تَفْسِيرُ البَسِيطِ لِلْوَاحِدِيِّ، ج ٢٣، ص ١٦٥).

(٣) «نَظْمُ الدُّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الآيَاتِ وَالسُّوَرِ» (٢١/ ٢٢٦).

﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ﴾ [النَّازِعَاتُ:١٣]

أَيْ: نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ إِسْرَافِيلَ، يَسْمَعُونَهَا وَهُمْ فِي بَطْنِ الأَرْضِ أَمْوَاتًا، لَا يُثَنِّيهَا.

وَنَتِيجَةُ هَذِهِ النَّفْخَةُ:

﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ [النَّازِعَاتُ:١٤]

قَالَ يَحْيَى بْنُ سَلَّامٍ: السَّاهِرَةُ عِنْدَ أَهْلِ اللُّغَةِ:

هِيَ وَجْهُ الأَرْضِ[١]، وَهُوَ قَوْلُ عَامَّةِ الْمُفَسِّرِينَ[٢].

﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ [إِبْرَاهِيم:٤٨]: فَيَأْتُونَ عَلَى أَرْضٍ جَدِيدَةٍ لَمْ يُعْصَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- فِيهَا.

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ، كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ، لَيْسَ فِيهَا عَلَمٌ لِأَحَدٍ»[٣].

لِمَاذَا سُمِّيَتْ أَرْضُ الْمَحْشَرِ بِالسَّاهِرَةِ؟

قَالَ الطَّبَرِيُّ: وَالْعَرَبُ تُسَمِّي الْفَلَاةَ وَوَجْهَ الْأَرْضِ: سَاهِرَةً، وَأُرَاهُمْ سَمَّوْا ذَلِكَ بِهَا؛ لِأَنَّ فِيهِ نَوْمَ الْحَيَوَانِ وَسَهَرَهَا، فَوُصِفَ بِصِفَةِ مَا فِيهِ[٤].

---

(١) (تَفْسِيرُ ابْنِ أَبِي زَمَنَيْنِ).

(٢) (البَسِيطُ، ج ٢٤، ص ١٦٦).

(٣) (البُخَارِيُّ):٦٥٢١، (مُسْلِمٌ): ٢٨.

(٤) (الطَّبَرِيُّ، ٢٤/ ٧٤).

سُمِّيَتْ بِالسَّاهِرَةِ؛ لِأَنَّهُمْ مِنَ الْخَوْفِ يَسْهَرُونَ وَلَا يَنَامُونَ، فَشِدَّةُ الْخَوْفِ أَطَارَتِ النَّوْمَ مِنْ أَعْيُنِهِمْ، وَالسَّالِكُ -أَيْ: الَّذِي يَكُونُ عَلَيْهَا- لَا يَنَامُ أَبَدًا؛ خَوْفًا مِمَّا يَكُونُ فِيهَا أَوْ مِمَّا يَنْتَظِرُهُ، فَسُمِّيَتْ بِالسَّاهِرَةِ؛ لِأَنَّهَا ذَاتُ سَهَرٍ، وَيُسْهَرُ فِيهَا؛ خَوْفًا مِنْهَا[١].

المَحْشَرُ، هَلْ هُوَ فِي أَرْضِ الجَنَّةِ، أَوْ فِي أَرْضٍ مِنْ أَرَاضِي الدُّنْيَا، أَوْ فِي مَوْضِعٍ لَا مِنَ الجَنَّةِ وَلَا مِنَ النَّارِ؟

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ: قَدْ قِيلَ: أَوَّلُ حَشْرِ النَّاسِ عِنْدَ قِيَامِهِمْ مِنْ قُبُورِهِمْ فِي هَذِهِ الأَرْضِ الَّتِي مَاتُوا وَدُفِنُوا فِيهَا، ثُمَّ يُحَوَّلُونَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي تُسَمَّى السَّاهِرَةَ؛ فَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ [النَّازِعَاتُ:١٤]، وَالسَّاهِرَةُ: هِيَ الَّتِي يُحَاسَبُونَ عَلَيْهَا فَإِذَا فَرَغُوا مِنَ الحِسَابِ وَجَازُوا عَلَى الصِّرَاطِ وَمُيِّزَ بَيْنَ المُجْرِمِينَ وَالمُؤْمِنِينَ، ضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ، فَكَانَ مَا وَرَاءَ السُّورِ مِمَّا يَلِي الجَنَّةَ مِنْ أَرْضِ الجَنَّةِ، وَصَارَ مَا دُونَ السُّورِ مِمَّا يَلِي النَّارَ مِنْ أَرْضِ جَهَنَّمَ، وَمَوْضِعُ الحِسَابِ يَصِيرُ مِنْ جَهَنَّمَ[٢].

وَلَمَّا كَانَتْ قِصَّةُ مُوسَى -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- مَعَ القِبْطِ أَشْبَهَ شَيْءٍ بِالقِيَامَةِ؛ لِمَا حَصَلَ فِيهَا مِنَ التَّقَلُّبَاتِ وَالتَّغَيُّرَاتِ، وَإِيجَادِ المَعْدُومَاتِ: مِنَ الجَرَادِ وَالقُمَّلِ وَالضَّفَادِعِ، عَلَى تِلْكَ الهَيْئَاتِ الخَارِجَةِ عَنِ العَادَاتِ

---

(١) «تَفْسِيرُ القُرْطُبِيِّ» (١٩/ ١٩٩).

(٢) (بَدَائِعُ الفَوَائِدِ، ٣/ ١٠٥).

فِي أَسْرَعِ وَقْتٍ، وَقَهْرِ الجَبَابِرَةِ وَالمَنِّ عَلَى الضُّعَفَاءِ، حَتَّى كَانَ آخِرَ ذَلِكَ أَنْ حَشَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَنَشَطَهُمْ مِنَ القِبْطِ نَشْطًا رَقِيقًا، كُلَّهُمْ وَجَمِيعَ مَا لَهُمْ مَعَ دَوَابِّهِمْ إِلَى رَبِّهِمْ، وَحَشَرَ جَمِيعَ القِبْطِ وَرَاءَهُمْ فَنَزَعَهُمْ نَزْعًا كُلَّهُمْ، بِحَشْرِ فِرْعَوْنَ لَهُمْ بِأَصْوَاتِ الْمُنَادِينَ عَنْهُ فِي أَسْرَعِ وَقْتٍ وَأَيْسَرِ أَمْرٍ إِلَى هَلَاكِهِمْ، كَمَا يَحْشُرُ الأَمْوَاتِ بَعْدَ إِحْيَائِهِمْ بِالصَّيْحَةِ إِلَى السَّاهِرَةِ، ثُمَّ كَانَتِ العَاقِبَةُ فِي الطَّائِفَتَيْنِ بِمَا لِلمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا أَنْ نَجَا بَنُو إِسْرَائِيلَ بِالبَحْرِ كَمَا يَنْجُو يَوْمَ البَعْثِ الْمُؤْمِنُونَ بِالصِّرَاطِ، وَهَلَكَ فِرْعَوْنُ وَآلُهُ بِهِ كَمَا يَتَسَاقَطُ الكَافِرُونَ بِالصِّرَاطِ، وَذَلِكَ أَنَّ فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ رَأَوُا البَحْرَ قَدِ انْفَلَقَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ فَلَمْ يَعْتَبِرُوا بِذَلِكَ، ثُمَّ دَخَلُوا فِيهِ وَرَاءَهُمْ، وَلَمْ يُجَوِّزُوا أَنَّ الَّذِي حَسَرَهُ عَنْ مَكَانِهِ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُعِيدَهُ كَمَا ابْتَدَأَهُ فَيُغْرِقَهُمْ، وَاسْتَمَرُّوا فِي عَمَاهُمْ حَتَّى رَدَّهُ اللهُ فَأَغْرَقَهُمْ بِهِ، كَمَا أَنَّ مَنْ يُكَذِّبُ بِالقِيَامَةِ، رَأَى بَدْءَ اللهِ لَهُ وَلِغَيْرِهِ وَإِفْنَاءَهُ بَعْدَ إِبْدَائِهِ، ثُمَّ إِنَّهُ لَمْ يُجِزْ أَنْ يُعِيدَهُ كَمَا بَدَأَهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ، وَصَلَ بِذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى جَوَابًا لِمَنْ يَقُولُ: هَلْ لِذَلِكَ مِنْ دَلِيلٍ؟ مُخَاطِبًا لِأَشْرَفِ الخَلْقِ؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ لَا يَعْتَبِرُ هَذَا حَقَّ اعْتِبَارِهِ إِلَّا أَنْتَ، مُسْتَفْهِمًا عَنِ الإِتْيَانِ لِلتَّنْبِيهِ وَالحَثِّ عَلَى جَمْعِ النَّفْسِ عَلَى التَّأَمُّلِ وَالتَّدَبُّرِ وَالِاعْتِبَارِ مُقَرِّرًا وَمُسَلِّيًا لَهُ ﷺ وَمُهَدِّدًا لِلمُكَذِّبِينَ أَنْ يَكُونَ حَالُهُمْ -وَهُمْ أَضْعَفُ أَهْلِ الأَرْضِ؛ لِأَنَّهُ لَا مُلْكَ لَهُمْ- كَحَالِ فِرْعَوْنَ فِي هَذَا، وَقَدْ كَانَ أَقْوَى أَهْلَ الأَرْضِ بِمَا كَانَ لَهُ مِنَ الْمُلْكِ وَكَثْرَةِ الجُنُودِ وَقُوَّتِهِمْ وَسِحْرِهِمْ وَمُرُودِهِمْ فِي خِدَاعِهِمْ وَمَكْرِهِمْ، وَرَأَى مِنَ الآيَاتِ مَا لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَبْلَهُ،

فَلَـمَّا أَصَرَّ عَـلَى التَّكْذِيـبِ وَلَمْ يَرْجِـعْ وَلَا أَفَـادَهُ التَّأْدِيـبُ، أَغْرَقَـهُ اللهُ وَآلَـهُ فَلَـمْ يُبْـقِ مِنْهُـمْ أَحَـدًا، وَقَـدْ كَانُـوا لَا يُحْصَـوْنَ عَـدَدًا؛ حَيْـثُ قِيـلَ: إِنَّ طَلِيعَتَـهُ كَانَـتْ عَـلَى عَـدَدِ بَنِـي إِسْرَائِيـلَ سِـتِّمِائَةِ أَلْـفٍ[1].

(١) «نَظْمُ الدُّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الآيَاتِ وَالسُّوَرِ» (٢١/ ٢٢٩).

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾﴾ [النَّازِعَاتُ:١٥-٢٦]

هَـذِهِ الآيَـاتُ تَتَحَـدَّثُ عَـنْ قِصَّـةِ نَبِـيِّ اللهِ مُوسَـى مَـعَ فِرْعَـوْنَ، وَتَضَمَـنُّ مَنْهَجًـا دَعَوِيًّـا مُتَكَامِـلًا.

وَقِصَّـةُ مُوسَـى هِـيَ أَكْثَـرُ القِصَـصِ وُرُودًا وَأَكْثَرُهَـا تَفْصِيـلًا فِي القُـرْآنِ، وَقَـدْ وَرَدَتْ مِـنْ قَبْـلُ فِي سُـوَرٍ كَثِـيرَةٍ، وَرَدَتْ مِنْهَـا حَلَقَـاتٌ مُنَوَّعَـةٌ، وَوَرَدَتْ فِي أَسَـالِيبَ شَـتَّى، كُلٌّ مِنْهَـا تُنَاسِـبُ سِـيَاقَ السُّـورَةِ الَّتِـي وَرَدَتْ فِيهَـا وَتُشَـارِكُ فِي أَدَاءِ الغَـرَضِ البَـارِزِ فِي السِّـيَاقِ، عَـلَى طَرِيقَـةِ القُـرْآنِ فِي إِيـرَادِ القِصَـصِ وَسَرْدِهَا[١].

وهـي أَحْسَـنُ أَحَادِيـثِ الْأَنْبِيَـاءِ قَـالَ الْإِمَـامُ أَحْمَـد بْـنُ حَنْبَـلٍ: أَحْسَـنُ أَحَادِيـثِ الْأَنْبِيَـاءِ حَدِيـثُ تَكْلِيـمِ اللهِ لِمُوسَـى[٢].

❂ **قَـالَ ابْـنُ تَيْمِيَّـةَ:** وَمِـنَ الْـمعْلُومِ أَنَّ قِصَّـةَ مُوسَـى وَمَـا جَـرَى لَـهُ مَـعَ فِرْعَـوْنَ وَغَـيْرِهِ أَعْظَـمُ وَأَشْرَفُ مِـنْ قِصَّـةِ يُوسُـفَ بِكَثِـيرٍ كَثِـيرٍ وَلِهَـذَا هِـيَ

(١) (فِي ظِلَالِ القُرْآنِ، ٦/ ٧٩٢).
(٢) «مَجْمُوعُ الفَتَاوَى» (١٧/ ٣٢).

أَعْظَمُ قَصَصِ الْأَنْبِيَاءِ الَّتِي تُذْكَرُ فِي الْقُرْآنِ، ثَنَّاهَا اللهُ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهَا، وَبَسَطَهَا وَطَوَّلَهَا أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهَا(١).

وَفيها تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ؛ فَفِرْعَوْنُ كَانَ أَقْوَى مِنْ كُفَّارِ عَصْرِكَ، ثُمَّ أَخَذْنَاهُ، وَكَذَلِكَ هَؤُلَاءِ(٢).

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾ [النَّازِعَاتُ:١٥]

﴿هَلْ﴾ [النَّازِعَاتُ:١٥] هُنا بِمَعْنَى (قَدْ): قَدْ أَتاكَ حَدِيثُ مُوسَى.

اسْتِفْهَامٌ يَتَضَمَّنُ التَّنْبِيهَ عَلَى أَنَّ هَذَا مِمَّا يَجِبُ أَنْ يَشِيعَ(٣).

مَا الرَّابِطُ بَيْنَ هَذِهِ الآيَاتِ وَبَيْنَ الَّذِي قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ؟

قَالَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ: ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾[النَّازِعَاتُ:١٢]؛ فَهَذَا نَوْعُ اسْتِهْزَاءٍ مِنْهُمْ، فَاللهُ يَقُولُ لَهُ: لَئِنِ اسْتُهْزِئَ بِكَ يَا رَسُولَنَا، وَلَئِنْ كُذِّبْتَ وَوَجَدْتَ مَشَقَّةً؛ فَلَقَدْ تَحَمَّلَ مُوسَى الْمَشَاقَّ، فَتَحَمَّلْ مِثْلَهُ، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾[الأَنْعَامُ:٩٠]: اقْتَدِ بِمَنْ سَبَقَكَ مِنَ الأَنْبِيَاءِ.

قَدْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى الَّذِي تُشْبِهُ قِصَّتُهُ قِصَّتَكَ.

﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ﴾[النَّازِعَاتُ:١٦] بِصَوْتٍ وَحَرْفٍ؛ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ، وَالخِطَابُ

(١) «مَجْمُوعُ الفَتَاوَى» (١٧/ ٢١).
(٢) «تَفْسِيرُ القُرْطُبِيِّ» (١٩/ ٢٠١).
(٣) (تَفْسِيرُ النَّسَفِيِّ، ص ١٣١٨).

مَعَهُ سَيَأْتِي فِي سُورَةِ طه: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ١٧ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٧١-٨١] سَتَأْتِي الآيَاتُ إِنْ شَاءَ اللهُ إِنْ طَالَ العُمُرُ.

﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ﴾ [النَّازِعَاتُ:١٦]: طُورِ سَيْنَاءَ، الْمُقَدَّسِ الْمُطَهَّرِ، ﴿طُوًى﴾[النَّازِعَاتُ:١٦]: هَذَا اسْمُ الوَادِي، وَهُوَ الَّذِي طُوِيَ فِيهِ الشَّرُّ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَمَنْ أَرَادَ اللهُ مِنْ خَلْقِهِ وَنَشْرِ بَرَكَاتِ النُّبُوَّةِ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الأَرْضِ الْمُسْلِمِ بِإِسْلَامِهِ، وَغَيْرِهِ بِرَفْعِ عَذَابِ الِاسْتِئْصَالِ(١).

مَاذَا قَالَ لَهُ رَبُّهُ؟

﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [النَّازِعَاتُ:١٧]

هَلِ الذَّهَابُ لِفِرْعَوْنَ وَحْدَهُ؟

- لَا؛ لَكِنْ لِفِرْعَوْنَ وَمَنْ مَعَهُ، وَأَنْتَ حِينَمَا تَأْتِي تُكَلِّمُ، لَا تُكَلِّمُ الأَتْبَاعَ، تُكَلِّمُ الرَّأْسَ، فِي كُلِّ مُعْتَقَدٍ، وَفِي كُلِّ شَيْءٍ يَنْشَأُ، لَا تُكَلِّمُ الأَتْبَاعَ، أَغْلَبُهُمْ لَنْ يَقْتَنِعَ، تُكَلِّمُ الرَّأْسَ، فَإِنِ اقْتَنَعَ، اقْنَعَ الأَتْبَاعُ، هَذَا هُوَ الغَالِبُ.

﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [النَّازِعَاتُ:١٧]

فِرْعَوْنُ مَلِكُ مِصْرَ الَّذِي كَانَ اسْتَعْبَدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، ثُمَّ خُوِّفَ مِنْ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فَصَارَ يَذْبَحُ أَبْنَاءَهُمْ؛ خَوْفًا مِنْهُ -وَهُوَ أَنْتَ-، فَرَبَّيْنَاكَ فِي

(١) «نَظْمُ الدُّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الآيَاتِ وَالسُّوَرِ» (٢١/ ٢٢٩).

بَيْتِـهِ؛ لِهَلَاكِـهِ؛ حَتَّـى يَعْلَـمَ أَنَّـه لَا مَفَـرَّ مِـنْ قَدَرِنَـا[١].

- تَجَاوَزَ حَدَّهُ مَعَ اللهِ؛ بِادِّعَاءِ الرُّبُوبِيَّةِ.

- وَتَجَـاوَزَ حَـدَّهُ مَـعَ خَلْـقِ اللهِ؛ بِـأَنْ ذَلَّلَهُـمْ لِخِدْمَتِـهِ، يَقْتُـلُ أَبْنَاءَهُـمْ، وَيَسْـتَحْيِي نِسَـاءَهُمْ؛ بِـأَنْ يَسْـتَبْقِيهِمْ لِلْخِدْمَـةِ.

- وَكَـمَالُ العُبُودِيَّـةِ لَيْسَ إِلَّا حُسْـنَ الْمُعَامَلَةِ مَـعَ الخَالِقِ بِالعِبَـادَةِ، وَمَعَ الخَلْقِ بِالإِحْسَـانِ وَالمَعُونَـةِ، وَكَـمَالُ الطُّغْيَـانِ سُـوءُ الْمُعَامَلَةِ مَـعَ الخَالِقِ وَمَـعَ الخَلْقِ[٢].

﴿ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴾ [النَّازِعَاتُ:١٨]

هَذِهِ الآيَاتُ تُفَسِّرُ قَوْلَ رَبِّنَا: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾ [طه:٤٤].

أَطْغَـى الطُّغَـاةِ، وَأَعْتَـى العُتَـاةِ، ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾ [طه:٤٤] فَـمَا بَالُنَـا نُغْلِـظُ عَـلَى إِخْوَانِنَـا فِي النُّصْـحِ، وَنَحْـنُ -وَالحَمْـدُ للهِ- عَـلَى الإِسْـلَامِ، وَنَرْجُـو أَنْ نَكُـونَ عَـلَى السُّـنَّةِ؟!

﴿ تَزَكَّىٰ ﴾ [النَّازِعَاتُ:١٨]:

يَعْنِـي: تَشْـهَدُ أَلَّا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ، وَالزَّكِـيُّ: هُـوَ الطَّاهِـرُ مِـنَ العُيُـوبِ، وَهَـذِهِ الكَلِمَـةُ جَامِعَـةٌ لِـكُلِّ خَـيْرٍ، وَجَامِعَـةٌ لِدَعْـوَةِ الرَّسُـولِ، قَـالَ ابْـنُ عَبَّـاسٍ: «هَـلْ لَـكَ أَنْ تَشْـهَدَ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؟»[٣].

---

(١) «نَظْمُ الدُّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الآيَاتِ وَالسُّوَرِ» (٢١/ ٢٣٠).
(٢) «تَفْسِيرُ الرَّازِي، مَفَاتِيحُ الغَيْبِ أَوِ التَّفْسِيرُ الكَبِيرُ» (٣١/ ٣٩).
(٣) «تَفْسِيرُ القُرْطُبِيِّ» (١٩/ ٢٠١).

﴿ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴾[النَّازِعَاتُ:١٨]:

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ طَهَّرَ نَفْسَهُ بِـ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.

قَاعِدَةٌ كُلِّيَّةٌ فِي التَّفْسِيرِ:

- وقَالَ ابْنُ زَيْدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴾ [النَّازِعَاتُ:١٨] قَالَ: إِلَى أَنْ تُسْلِمَ.

قَالَ:-وَالتَّزَكِّي فِي الْقُرْآنِ كُلِّهِ: الْإِسْلَامُ، وَقَرَأَ قَوْلَ اللهِ: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ [طه: ٧٦] قَالَ: مَنْ أَسْلَمَ، وَقَرَأَ: ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴾ [عَبَسَ: ٣] قَالَ: يُسْلِمُ، وَقَرَأَ: ﴿ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴾ [عَبَسَ: ٧] أَنْ لَا يُسْلِمَ[1].

﴿ وَأَهْدِيَكَ ﴾ [النَّازِعَاتُ:١٩]: أُرْشِدُكَ ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴾[النَّازِعَاتُ:١٩]، قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ-: وَالْخَشْيَةُ مِلَاكُ الأَمْرِ، «مَنْ خَشِيَ اللهَ، أَتَى مِنْهُ كُلَّ خَيْرٍ، وَمَنْ أَمِنَ مَكْرَ اللهِ وَمِنْ عَذَابِهِ، اجْتَرَأَ عَلَى كُلِّ شَرٍّ».

﴿فَتَخْشَىٰ ﴾[النَّازِعَاتُ:١٩]:

تُؤَدِّي مَا يَلْزَمُكَ مِنْ فَرْضِهِ؛ خَشْيَةَ عِقَابِهِ[2].

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ: قَرَّرَ -سُبْحَانَهُ- تَكْلِيمَهُ لِمُوسَى بِنِدَائِهِ لَهُ بِنَفْسِهِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ ﴾ [النَّازِعَاتُ:١٦] فَأَثْبَتَ النِّدَاءَ الْمُسْتَلْزِمَ لِلْكَلَامِ

(١) (تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ: ٢٤/ ٨١).

(٢) (البَسِيطُ، ج ٢٤، ص ١٦٦).

وَالتَّكْلِيمِ، وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ أَثْبَتَ «النِّجَاءِ»، وَ«النِّدَاءِ» نَوْعَا التَّكْلِيمِ، وَمُحَالٌ ثُبُوتُ النَّوْعِ بِدُونِ الْجِنْسِ.

ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يُخَاطِبَهُ بِأَلْيَنِ خِطَابٍ، فَيَقُولُ لَهُ: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ [النَّازِعَاتُ:١٨-١٩]؛ فَفِي هَذَا مِنْ لُطْفِ الْخِطَابِ وَلِينِهِ وُجُوهٌ:

* **أَحَدُهَا**: إِخْرَاجُ الْكَلَامِ مَخْرَجَ الْعَرْضِ، وَلَمْ يُخْرِجْهُ مَخْرَجَ الْأَمْرِ وَالْإِلْزَامِ؛ وَهُوَ أَلْطَفُ.

* **الثَّانِي**: قَوْلُهُ: ﴿إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ [النَّازِعَاتُ:١٨]، وَالتَّزَكِّي: النَّمَاءُ، وَالطَّهَارَةُ، وَالْبَرَكَةُ، وَالزِّيَادَةُ.

فعَرَضَ عَلَيْهِ أَمْرًا يَقْبَلَهُ كُلُّ عَاقِلٍ، وَلَا يَرُدُّهُ إِلَّا كُلُّ أَحْمَقٍ جَاهِلٍ.

* **الثَّالِثُ**: قَوْلُهُ: ﴿تَزَكَّىٰ﴾ [النَّازِعَاتُ:١٨]، وَلَمْ يَقُلْ: أُزَكِّيكَ، فَأَضَافَ التَّزْكِيَةَ إِلَى نَفْسِهِ، وَعَلَى هَذَا يُخَاطَبُ الْمُلُوكُ.

* **الرَّابِعُ**: قَوْلُهُ: ﴿وَأَهْدِيَكَ﴾ [النَّازِعَاتُ:١٩] أَيْ: أَكُونُ دَلِيلًا لَكَ، وَهَادِيًا بَيْنَ يَدَيْكَ؛ فَنَسَبَ الْهِدَايَةَ إِلَيْهِ، وَالتَّزَكِّي إِلَى الْمُخَاطَبِ، أَيْ: أَكُونُ دَلِيلًا لَكَ وَهَادِيًا فَتَتَزَكَّى أَنْتَ؛ كَمَا تَقُولُ لِلرَّجُلِ: هَلْ لَكَ أَنْ أَدُلَّكَ عَلَى كَنْزٍ تَأْخُذُ مِنْهُ مَا شِئْتَ؟

وَهَذَا أَحْسَنُ مِنْ قَوْلِهِ: أُعْطِيكَ.

* **الْخَامِسُ**: قَوْلُهُ: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [النَّازِعَاتُ:١٩]؛ فَإِنَّ فِي هَذَا مَا يُوجِبُ قَبُولَ مَا دَلَّهُ عَلَيْهِ، وَهُوَ أَنَّهُ يَدْعُوهُ وَيُوصِلُهُ إِلَى رَبِّهِ فَاطِرِهِ وَخَالِقِهِ، الَّذِي

أَوْجَدَهُ وَرَبَّاهُ بِنِعَمِهِ: جَنِينًا، وَصَغِيرًا، وَكَبِيرًا، وَآتَاهُ المُلْكَ. وَهَذَا نَوْعٌ مِنْ خِطَابِ الِاسْتِعْطَافِ وِالإِلْزَامِ؛ كَمَا تَقُولُ لِمَنْ خَرَجَ عَنْ طَاعَةِ سَيِّدِهِ: أَلَا تُطِيعُ سَيِّدَكَ وَمَوْلَاكَ وَمَالِكَكَ؟ وَتَقُولُ لِلْوَلَدِ: أَلَا تُطِيعُ أَبَاكَ الَّذِي رَبَّاكَ.

* **السَّادِسُ**: قَوْلُهُ: ﴿فَتَخْشَىٰ﴾ [النَّازِعَاتُ:١٩] أَيْ: إِذَا اهْتَدَيْتَ إِلَيْهِ وَعَرَفْتَهُ خَشِيتَهُ؛ لِأَنَّ مَنْ عَرَفَ اللهَ خَافَهُ، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْهُ لَمْ يَخَفْهُ.

فَخَشْيَتُهُ -تَعَالَى- مَقْرُونَةٌ بِمَعْرِفَتِهِ، وَعَلَى قَدْرِ المَعْرِفَةِ تَكُونُ الخَشْيَةُ.

* **السَّابِعُ**: أَنَّ فِي قَوْلِهِ: ﴿هَل لَّكَ﴾ [النَّازِعَاتُ:١٨] فَائِدَةٌ لَطِيفَةٌ؛ وَهِيَ أَنَّ المَعْنَى: هَلْ لَكَ فِي ذَلِكَ حَاجَةٌ أَوْ أَرَبٌ؟

وَمَعْلُومٌ أَنَّ كُلَّ عَاقِلٍ يُبَادِرُ إِلَى قَبُولِ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الدَّاعِيَ إِنَّمَا يَدْعُوهُ إِلَى حَاجَتِهِ وَمَصْلَحَتِهِ، لَا إِلَى حَاجَةِ الدَّاعِي، فَكَأَنَّهُ يَقُولُ: الحَاجَةُ لَكَ، وَأَنْتَ المُتَزَكَّى، وَأَنَا الدَّلِيلُ لَكَ، وَالمُرْشِدُ لَكَ إِلَى أَعْظَمِ مَصَالِحِكَ.

فَقَابَلَ هَذَا بِغَايَةِ الكُفْرِ وَالعِنَادِ، وَادَّعَى أَنَّهُ رَبُّ العِبَادِ، هَذَا وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ بِالَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى، وَلَا قَدَّرَ فَهَدَى، فَكَذَّبَ الخَبَرَ، وَعَصَى الأَمْرَ، ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى بِالخَدِيعَةِ وَالمَكْرِ، فَحَشَرَ جُنُودَهُ فَأَجَابُوهُ، ثُمَّ نَادَى فِيهِمْ بِأَنَّهُ رَبُّهُمُ الأَعْلَى، وَاسْتَخَفَّهُمْ فَأَطَاعُوهُ، فَبَطَشَ بِهِ جَبَّارُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ بَطْشَةَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ، وَأَخَذَهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَى، لِيَعْتَبِرَ بِذَلِكَ مَنْ يَعْتَبِرُ، فَاعْتَبَرَ بِذَلِكَ مَنْ خَشِيَ رَبَّهُ مِنَ المُؤْمِنِينَ، وَحَقَّ القَوْلُ عَلَى الكَافِرِينَ، ثُمَّ أَقَامَ -سُبْحَانَهُ-

حُجَّتَهُ عَلَى العَالَمِينَ بِخَلْقِ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ[١].

﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ [النَّازِعَات:٢٠]

كَلِمَةُ (مُعْجِزَة) لَمْ تَرِدْ فِي القُرْآنِ، وَلَا فِي السُّنَّةِ.

والوَارِدُ فِي القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ كَلِمَةُ (آيَة): وَهِيَ العَلَامَةُ الدَّالَّةُ عَلَى الصِّدْقِ.

وَ﴿ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ [النَّازِعَاتُ:٢٠]:

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾، وهَذَا قَوْلُ الجُمْهُورِ: أَنَّهَا اليَدُ وَالعَصَا[٢]، وَهُوَ قَوْلُ مُجَاهِدٍ، وَالحَسَنِ، وَقَتَادَةَ[٣].

فَلَمَّا أَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ، ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ﴾ [النَّازِعَاتُ:٢١]: كَذَّبَ بِدِلَالَةِ هَذِهِ الآيَةِ، عَلَى أَنَّهَا مُعْجِزَةٌ لِمُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وَقَالَ بِلِسَانِ حَالِهِ: أَنَا يُمْكِنُنِي مُعَارَضَتُهَا فَآتِي بِمِثْلِهَا، ثُمَّ عَصَى اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- وَعَصَى مُوسَى فِيمَا طَلَبَهُ، وَاسْتَعْصَى عَنِ الإِيمَانِ.

---

(١) (التِّبْيَانُ، ص ٢٢٢).

(٢) «زَادُ المَسِيرِ فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ» (٤/ ٣٩٦).

(٣) (الطَّبَرِيُّ، ٢٤/ ٨٢).

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ﴾ [النَّازِعَاتُ:٢٢]

أَدْبَرَ؛ خَوْفًا مِنَ العَصَى الَّتِي أَلْقَاهَا مُوسَى فَتَحَوَّلَتْ إِلَى حَيَّةٍ.

۞ **قَالَ مَالِكٌ**: السَّعْيُ فِي كِتَابِ اللهِ هُوَ العَمَلُ.

۞ **قَالَ الطَّبَرِيُّ**: يَعْمَلُ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، وَفِيمَا يُسْخِطُهُ عَلَيْهِ(١).

۞ **قَالَ مُقَاتِلٌ**: ثُمَّ أَدْبَرَ عَنِ الحَقِّ يَسْعَى فِي جَمْعِ السَّحَرَةِ، فَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾ [سُورَةُ طه:٦٠](٢).

۞ **قَالَ حَمْزَةُ الكَرْمَانِيُّ**: قَالَ لَهُ مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: إِنَّ رَبِّي أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ، لَئِنْ آمَنْتَ بِرَبِّكَ، تَكُونُ أَرْبَعَمِائَةِ سَنَةً فِي السُّرُورِ وَالنَّعِيمِ، ثُمَّ تَمُوتُ فَتَدْخُلُ الجَنَّةَ، فَقَالَ: حَتَّى أَسْتَشِيرُ هَامَانَ، فَاسْتَشَارَهُ فَقَالَ: أَتَصِيرُ عَبْدًا بَعْدَ مَا كُنْتَ رَبًّا تُعْبَدُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ بَعَثَ الشُّرَطَ وَجَمَعَ السَّحَرَةَ وَالجُنُودَ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا، قَامَ عَدُوُّ اللهِ عَلَى سَرِيرِهِ(٣).

﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ﴾ [النَّازِعَاتُ:٢٣]: كَقَوْلِهِ: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ [الشعراء:٥٣]، نَادَى النَّاسَ وَحَشَرَهُمْ وَجَمَعَهُمْ، وَقَالَ لَهُمْ: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النَّازِعَاتُ:٢٤] كَأَنَّهُ يَقُولُ لِلنَّاسِ: «أَنْتُمْ طَبَقَاتٌ»: القَادَةُ وَالسِّفْلَةُ؛ القَادَةُ أَرْبَابُ

---

(١) (الطَّبَرِيُّ، ٢٤/ ٨٣).

(٢) «تَفْسِيرُ مُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ» (٤/ ٥٧٧).

(٣) «نَظْمُ الدُّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الآيَاتِ وَالسُّوَرِ» (٢١/ ٢٣٣).

السِّـفْلَةِ، وَأَنَـا رَبُّ القَـادَةِ، فَأَنَا رَبُّكُمُ الأَعْـلَى، لَا يُرِيدُ أَنْ يَقُولَ لِلسِّـفْلَةِ -الطَّبَقَاتِ الدُّنْيَـا مِـنَ النَّـاسِ-: «أَنَـا رَبُّكُـم»، لَا «بَـلْ أَنَـا رَبُّ أَرْبَابِكُمْ» -لَعَنَـهُ اللهُ-.

وَقَـالَ عَطَـاءٌ: كَانَ صَنَـعَ لَهُـمْ أَصْنَامًـا صِغَـارًا وَأَمَرَهُـمْ بِعِبَادَتِهَـا، فَقَـالَ أَنَـا رَبُّ أَصْنَامِكُـمْ.

وَقِيلَ: أَرَادَ الْقَادَةَ وَالسَّادَةَ، هُوَ رَبُّهُمْ، وَأُولَئِكَ هُمْ أَرْبَابُ السِّفْلَةِ[١].

وَيُـرْوَى أَنَّ إِبْلِيسَ لَمَّـا سَـمِعَ مِنْـهُ قَوْلَـهُ هَـذَا قَـالَ: إِنِّي تَجَـبَّرْتُ عَـلَى آدَمَ، فَلَقِيـتُ مَـا لَقِيـتُ، وَهَـذَا يَقُـولُ هَـذَا؟

وَهَـذَا دَعَـاهُ إِلَيْهِ الكِبْرُ النَّاشِـىءُ عَـنْ فِتْنَةِ السَّرَّاءِ الَّتِـي الصَّبْرُ فِيهَـا أَعْظَمُ مِنَ الصَّـبْرِ فِي الـضَّرَّاءِ، قَـالَ الإِمَـامُ الغَـزَالِيُّ فِي كِتَـابِ الصَّبْرِ مِـنَ «الإِحْيَـاءِ»: فَالصَّبْرُ عَـلَى الطَّاعَـةِ شَـدِيدٌ؛ لِأَنَّ النَّفْـسَ بِطَبْعِهَـا تَنْفِـرُ عَـنِ العُبُودِيَّـةِ وَتَشْـتَهِي الرُّبُوبِيَّةِ، وَلِذَلِـكَ قَـالَ بَعْـضُ العَارِفِينَ: مَا مِـنْ نَفْسٍ إِلَّا وَهِـيَ مُضْمِرَةٌ مَـا أَظْهَـرَهُ فِرْعَوْنُ مِـنْ قَوْلِـهِ ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النَّازِعَـات: ٢٤]، وَلَكِـنَّ فِرْعَـوْنَ وَجَـدَ لَهُ مَجَـالًا وَقَبُولًا فَأَظْهَـرَهُ؛ إِذِ اسْـتَخَفَّ فَأَطَاعُـوهُ، وَمَـا مِـنْ أَحَـدٍ إِلَّا وَهُـوَ يَدَّعِـي ذَلِـكَ مَـعَ عَبْدِهِ وَخَادِمِـهِ وَأَتْبَاعِـهِ وَكُلِّ مَـنْ هُـوَ تَحْـتَ قَهْـرِهِ وَطَاعَتِـهِ وَإِنْ كَانَ مُمْتَنِعًا مِـنْ إِظْهَارِهِ؛ فَـإِنَّ امْتِعَاضَـهُ وَغَيْظَـهُ عِنْـدَ تَقْصِيرِهِـمْ فِي خِدْمَتِـهِ لَا يَصْـدُرُ إِلَّا عَنْ إِضْمَارِ الكِبْرِ وَمُنَازَعَـةِ الرُّبُوبِيَّـةِ فِي رِدَاءِ الكِبْرِيَـاءِ. انتهى[٢].

(١) «تَفْسِيرُ القُرْطُبِيِّ» (١٩/ ٢٠٢).

(٢) «نَظْمُ الدُّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الآيَاتِ وَالسُّوَرِ» (٢١/ ٢٣٤).

قَالَ صَاحِبُ الظِّلَالِ: قَالَهَا الطَّاغِيَةُ مَخْدُوعًا بِغَفْلَةِ جَمَاهِيرِهِ، وَإِذْعَانِهَا وَانْقِيَادِهَا، فَمَا يَخْدَعُ الطُّغَاةَ شَيْءٌ كَمَا تَخْدَعُهُمْ غَفْلَةُ الجَمَاهِيرِ وَذِلَّتُهَا وَطَاعَتُهَا وَانْقِيَادُهَا.

وَمَا الطَّاغِيَةُ إِلَّا فَرْدٌ لَا يَمْلِكُ فِي الحَقِيقَةِ قُوَّةً وَلَا سُلْطَانًا، إِنَّمَا هِيَ الجَمَاهِيرُ الغَافِلَةُ الذَّلُولُ، تُمْطِي لَهُ ظَهْرَهَا فَيَرْكَبُ، وَتَمُدُّ لَهُ أَعْنَاقَهَا فَيَجُرُّ، وَتَحْنِي لَهُ رُؤُوسَهَا فَيَسْتَعْلِي، وَتَتَنَازَلُ لَهُ عَنْ حَقِّهَا فِي العِزَّةِ وَالكَرَامَةِ فَيَطْغَى، وَالجَمَاهِيرُ تَفْعَلُ هَذَا مَخْدُوعَةً مِنْ جِهَةٍ وَخَائِفَةً مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، وَهَذَا الخَوْفُ لَا يَنْبَعِثُ إِلَّا مِنَ الوَهْمِ[1].

وَفِي هَذِهِ الآيَةِ جَوَازُ أَنْ يَحْكِيَ الإِنْسَانُ الكُفْرَ لِمَصْلَحَةٍ، وَأَنَّ مَنْ يَحْكِيهِ لَيْسَ بِكَافِرٍ.

﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ﴾ [النَّازِعَات: ٢٥]، وَكَذَلِكَ يَأْخُذُ كُفَّارَ قُرَيْشٍ إِنْ لَمْ يُطِيعُوا رَسُولَهُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

﴿نَكَالَ﴾ [النَّازِعَات: ٢٥]

النَّكَالُ: هِيَ العُقُوبَةُ الَّتِي تُفْعَلُ لِيَكُونَ لِغَيْرِهِ عِبْرَةً، تُؤَدِّبُ هَذَا فَيَعْتَبِرُ غَيْرُهُ، عُقُوبَةُ ﴿ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾ [النَّازِعَات: ٢٥].

(١) (فِي ظِلَالِ القُرْآنِ، ٦/ ٧٩٤).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾ [النَّازِعَات:٢٥] قَالَ: هُوَ قَوْلُهُ: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القَصَص: ٣٨] وَقَوْلُهُ: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النَّازِعَات: ٢٤][1].

أَوْ ﴿نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [النَّازِعَات: ٢٥]: فِي الحَيَاةِ الآخِرَةِ، مَا بَعْدَ المَوْتِ، ﴿وَٱلْأُولَىٰٓ﴾ [النَّازِعَات: ٢٥]: بِأَنْ أَغْرَقَهُ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ-، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾: هَذَا فِي الأَرْضِ، ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٦].

وَهِيَ كَقَوْلِ رَبِّنَا ـ عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا﴾[نُوح:٢٥]، غَرِقَ، فَكَانَ هَذَا نَكَالَ الأُولَى.

- وَنَكَالُ الآخِرَةِ: بِأَنَّهُ أُدْخِلَ عَذَابَ القَبْرِ، وَلَا يَنْتَهِي إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ فَيَدْخُلُ النَّارَ.

عَنِ الحَسَنِ، فِي قَوْلِهِ: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾ [النَّازِعَات: ٢٥]

قَالَ: الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ[2].

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ [النَّازِعَات: ٢٦]

فِي هَذَا النَّكَالِ، ﴿لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾ [النَّازِعَات: ٢٦]: هَذِهِ عِظَةٌ؛ فَلَا يُشْتَرَطُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْكَ العَذَابُ حَتَّى تَتَّعِظَ، بَلِ اتَّعِظْ بِمَا حَدَثَ لِغَيْرِكَ، وَالعَاقِلُ مَنِ اتَّعَظَ بِغَيْرِهِ،

(١) (الطَّبَرِيُّ، ٢٤/ ٨٥).

(٢) (الطَّبَرِيُّ، ٢٤/ ٨٧).

وَاللهُ يُحَذِّرُنَا، يَذْكُرُ لَنَا مَهَالِكَ الظَّلَمَةِ، وَكَيْفَ أَهْلَكَهُمْ؛ لِنَأْخُذَ مِنْ ذَلِكَ عِبْرَةً.

وَمِنَ العِبْرَةِ أَنْ يَتَذَكَّرَ القَارِئُ إِنْجَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى ضَعْفِهِمْ مِنْهُمْ عَلَى قُوَّتِهِمْ، ثُمَّ بِقُوَّةِ مَا حَصَلَ لَهُمْ مِنَ القَهْرِ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى أَوْجَبَ اتِّبَاعَهُمْ بِالجُنُودِ ثُمَّ بِفَرْقِ البَحْرِ، ثُمَّ بِإِيرَادِهِمْ إِيَّاهُ، ثُمَّ بِإِغْرَاقِهِمْ فِيهِ كَلَمْحِ البَصَرِ لَمْ يَخْرُجْ مِنْهُمْ أَحَدٌ، مُخْبِرٌ قُدْرَةَ اللهِ تَعَالَى عَلَى إِيرَادِ الكُفَّارِ النَّارَ، وَقَهْرِ كُلِّ جَبَّارٍ، وَبِجَعْلِ العَصَا حَيَّةً، وَإِخْرَاجِ القُمَّلِ وَالضَّفَادِعِ مِنَ الأَرْضِ، وَتَحْوِيلِ المَاءِ دَمًا وَقُدْرَتُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى ذَلِكَ السَّامِعِ بِالعَذَابِ وَغَيْرِهِ وَعَلَى خُصُوصِ البَعْثِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ العِبَرِ وَوَاضِحِ الأَثَرِ.

وَلَمَّا خَتَمَ قِصَّةَ فِرْعَوْنَ -لَعَنَهُ اللهُ- بِالعِبْرَةِ، وَكَانَ أَعْظَمُ عِبْرَتِهَا القُدْرَةُ التَّامَّةُ لَا سِيَّمَا عَلَى البَعْثِ كَمَا هِيَ مُشِيرَةٌ إِلَيْهِ بِأَوَّلِهَا وَآخِرِهَا، وَالعُقُوبَةُ عَلَى التَّكْذِيبِ بِهِ؛ لِأَنَّ التَّكْذِيبَ بِهِ يَجْمَعُ مَجَامِعَ الشَّرِّ وَالتَّصْدِيقُ بِهِ يَجْمَعُ مَجَامِعَ الخَيْرِ، وَكَانُوا يَسْتَبْعِدُونَهُ؛ لِاسْتِبْعَادِ القُدْرَةِ عَلَيْهِ[١].

ابْتَدَأَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- السُّورَةَ بِخَمْسَةِ أَقْسَامٍ، ثُمَّ جَوَابِ القَسَمِ: لَتُبْعَثُنَّ وَلَتُحَاسَبُنَّ، ثُمَّ جَاءَ بِقِصَّةِ مُوسَى لِيَقُولَ لِنَبِيِّهِ: «إِنْ كُنْتَ كُذِّبْتَ؛ فَقَدْ كُذِّبَ مُوسَى، وَإِنْ كُنْتَ عَانَيْتَ المَشَاقَّ؛ فَقَدْ عَانَى مُوسَى»، ثُمَّ يَخْتِمُ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- السُّورَةَ بِأَدِلَّةِ البَعْثِ:

---

(١) «نَظْمُ الدُّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الآيَاتِ وَالسُّوَرِ» (٢١/ ٢٣٨).

﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾ [النَّازِعَات: ٢٧-٣٣]

﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴾ [النَّازِعَات: ٢٧]

﴿ءَأَنتُمْ﴾[النَّازِعَات: ٢٧] أَيُّهَا الْمُنْكِرُونَ لِلْبَعْثِ ﴿أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ﴾[النَّازِعَات: ٢٧]؛

فَإِنَّ الَّذِي قَدَرَ عَلَى خَلْقِ السَّمَاءِ قَادِرٌ عَلَى إِحْيَائِكُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ.

نَظِيرُهُ قَوْلُهُ: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ ﴾ [يس: ٨١]، وَقَوْلُهُ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾[الأحقاف:٣٣].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ ﴾[غافر:٥٧].

﴿رَفَعَ سَمْكَهَا ﴾ [النازعات:٢٨]

قَالَ الفَرَّاءُ: كُلُّ شَيْءٍ حَمَلَ شَيْئًا مِنَ البِنَاءِ وَغَيْرِهِ؛ فَهُوَ سَمْكٌ[١].

قَالَ ابْنُ فَارِسٍ: (سَمَكَ) السِّينُ وَالْمِيمُ وَالْكَافُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى الْعُلُوِّ. يُقَالُ سَمَكَ، إِذَا ارْتَفَعَ. وَالْمَسْمُوكَاتُ: السَّمَاوَاتُ[٢].

(١) (الكَشْفُ وَالبَيَانُ، ٢٨/ ٤٠٠).

(٢) «مقاييس اللغة» (٣/ ١٠٢).

الفَارِقُ بَيْنَ السَّمْكِ وَالعُمْقِ:-

* العُمْقُ: يَكُونُ لِأَسْفَلَ؛ كعُمق البَحْرِ

* وَالسَّمْكُ: يَكُونُ لِأَعْلَى؛ فَإِذَا كَانَ البِنَاءُ لِأَعْلَى يُسَمَّى سَمْكًا.

فامْتِدَاد الشَّيْءِ إِذَا أُخِذَ مِنْ أَعْلَاهُ إِلَى أَسْفَلِهِ سُمِّيَ عُمْقًا، وَإِذَا أُخِذَ مِنْ أَسْفَلِهِ إِلَى أَعْلَاهُ سُمِّيَ سَمْكًا، فَالْمُرَادُ بِرَفْعِ سَمْكِهَا: شِدَّةُ عُلُوِّهَا[١].

وَسَمْكُ السَّمَاءِ: مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ عَامٍ، كَمَا جَاءَ فِي الأَحَادِيثِ.

﴿فَسَوَّىٰهَا ۝٢٨﴾ [النازعات:٢٨]

كَمَا قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ المُلْكِ: ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [المُلْك:٣]: أَيْ شُقُوق.

قَالَ الطَّبَرِيُّ: فَسَوَّى السَّمَاءَ؛ فَلَا شَيْءَ أَرْفَعُ مِنْ شَيْءٍ، وَلَا شَيْءَ أَخْفَضُ مِنْ شَيْءٍ، وَلَكِنْ جَمِيعُهَا مُسْتَوِي الِارْتِفَاعِ وَالِامْتِدَادِ[٢].

﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ۝٢٩﴾ [النازعات:٢٩]

﴿وَأَغْطَشَ﴾ [النازعات:٢٩]:

عَنْ مُجَاهِدٍ، قَوْلُهُ: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ [النازعات:٢٩]، قَالَ: أَظْلَمَ اللَّيْلَ، وَأَخْرَجَ الضُّحَى: أَبْرَزَهُ لِلنَّاسِ، وَنَوَّرَهَا بِهِ.

(١) «تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير» (٣١/ ٤٥).

(٢) (الطَّبَرِيُّ، ٢٤/ ٨٩).

- وَالضُّحَى أَشَدُّ مَا يَكُونُ النَّهَارُ ضِيَاءً.

- وَأَغْطَشَ اللَّيْلَ: أَشَدُّ مَا يَكُونُ اللَّيْلُ سَوَادًا.

﴿وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ۝٢٩﴾ [النازعات:٢٩] عَنْ مُجَاهِدٍ، وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا: نُورَهَا[1].

فَاللهُ هو القَادِرُ عَلَى فِعْلِ الشَّيْءِ وَنَقِيضِهِ».

﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات:٣٠]

خَلَقَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- الأَرْضَ، ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ دَحَا الأَرْضَ.

عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِابْنِ عَبَّاسٍ: إِنِّي أَجِدُ فِي القُرْآنِ أَشْيَاءَ تَخْتَلِفُ عَلَيَّ، وَذَكَرَ مِنْهَا: ﴿ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ۝٢٧ رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا ۝٢٨ وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ۝٢٩ وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝٣٠ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا﴾ [النَّازِعَات:٢٧-٣١]، فَذَكَرَ خَلْقَ السَّمَاءِ قَبْلَ خَلْقِ الأَرْضِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ۝١٠ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ [فُصِّلَتْ:٨-١١]، فَذَكَرَ فِي هَذِهِ خَلْقَ الأَرْضِ قَبْلَ السَّمَاءِ؟

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاءَ، ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ، فَسَوَّاهُنَّ فِي يَوْمَيْنِ آخَرَيْنِ، ثُمَّ دَحَا الأَرْضَ، وَدَحْوُهَا:

(١) (الطَّبَرِيُّ، ٢٤/ ٩١).

أَنْ أَخْرَجَ مِنْهَا المَاءَ وَالمَرْعَى، وَخَلَقَ الجِبَالَ وَالجِمَالَ وَالآكَامَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي يَوْمَيْنِ آخَرَيْنِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ ﴿دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات:٣٠][١].

وَقَوْلُهُ (خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ): فَخُلِقَتِ الأَرْضُ وَمَا فِيهَا مِنْ شَيْءٍ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ، وَخُلِقَتِ السَّمَاوَاتُ فِي يَوْمَيْنِ.

﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات:٣٠]

﴿دَحَىٰهَآ﴾: أَيْ: سَوَّاهَا أَوْ حَرَثَهَا وَشَقَّهَا، وقَالَ قَتَادَةُ: بَسَطَهَا.

﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾ [النازعات:٣١]

وإِذَا تَأَمَّلْتَ عَلِمْتَ أَنَّ جَمِيعَ مَا يَتَنَزَّهُ بِهِ النَّاسُ فِي الدُّنْيَا وَيَتَلَذَّذُونَ بِهِ، فَأَصْلُهُ الْمَاءُ وَالنَّبَاتُ[٢].

﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾ [النازعات:٣٢]

فَالجَبَلُ كَالوَتَدِ، بِهِ تَرْسُو الأَرْضُ، خَلَقَ ذَلِكَ ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [النازعات:٣٣].

الوُجُودُ كُلُّهُ خُلِقَ لِأَجْلِ مَنَافِعِ الإِنْسَانِ؛ لِيَشْكُرَ لَا لِيَكْفُرَ، وَدَلَّتِ القُدْرَةُ عَلَى ذَلِكَ قَطْعًا عَلَى القُدْرَةِ عَلَى البَعْثِ[٣].

---

(١) «صَحِيحُ البُخَارِيِّ» (٦/ ١٢٧).

(٢) «تَفْسِيرُ الرَّازِيِّ، مَفَاتِيحُ الغَيْبِ أَوِ التَّفْسِيرُ الكَبِيرُ» (٣١/ ٤٧).

(٣) «نَظْمُ الدُّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الآيَاتِ وَالسُّوَرِ» (٢١/ ٢٦٨).

﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾.

﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ ﴾ [النازعات:٣٤]

القِيَامَةُ مِنْ أَسْمَائِهَا: الحَاقَّةُ، السَّاعَةُ، الطَّامَّةُ، وَعِنْدَ العَرَبِ يَقُولُونَ: «هَذِهِ طَامَّةٌ» بِمَعْنَى: الدَّاهِيَةُ الَّتِي لَا تُسْتَطَاعُ، قَالَهُ الْمُبَرِّدُ[1].

وَكُلُّ شَيْءٍ غَطَّى عَلَى مَا بِجِوَارِهِ يُسَمَّى طَامَّةٌ؛ فَالقِيَامَةُ يُنْسَى إِلَى جِوَارِهَا كُلُّ شَيْءٍ، وَهِيَ النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ.

﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴾ [النازعات:٣٥]

يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ مَا عَمِلَهُ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ شَرٍّ.

﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴾ [النازعات:٣٦]

تُبَرَّزُ الجَحِيمُ وَتُظْهَرُ فَيَرَاهَا كُلُّ النَّاسِ، فِي الأَحَادِيثِ وَفِي القُرْآنِ: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مَرْيَم:٧١] أَيْ: الكُلُّ سَيَمُرُّ عَلَى النَّارِ، ﴿ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم:٧١]، وَسُرْعَةُ المُرُورِ عَلَى النَّارِ عَلَى حَسَبِ العَمَلِ.

(١) «تَفْسِيرُ القُرْطُبِيِّ» (١٩/ ٢٠٦).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا»(١).

﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾ [النازعات:٣٧]:

فأمَّا مَنْ تَجَاوَزَ حَدَّهُ وَتَشَبَّهَ بِفِرْعَوْنَ، وَفَسَدَتْ قُوَّتُهُ العِلْمِيَّةُ -فَسَدَ اعْتِقَادُهُ-، فَفَسَدَ عَمَلُهُ، وَكَانَتِ النَّتِيجَةُ أَنَّهُ ﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾[النازعات:٣٨].

عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ»(٢).

قَالَ حُذَيْفَةُ: أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ أَنْ يُؤْثِرُوا مَا يَرَوْنَ عَلَى مَا يَعْلَمُونَ(٣).

وَيُرْوَى أَنَّهُ وُجِدَ فِي الْكُتُبِ: إِنَّ اللَّهَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- قَالَ: لَا يُؤْثِرُ عَبْدٌ لِي دُنْيَاهُ عَلَى آخِرَتِهِ، إِلَّا بَثَثْتُ عَلَيْهِ هُمُومَهُ وَضَيَّعْتُهُ(٤).

فَكَانَتِ النِّهَايَةُ ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات:٤١].

نَظِيرُهُ نَظِيرُ فِرْعَوْنَ، أُمُّهُ الَّتِي يَرْجِعُ إِلَيْهَا، وَمَأْوَاهُ الَّذِي يَصِيرُ إِلَيْهِ هُوَ الْجَحِيمُ.

---

(١) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ» (٤/ ٢١٨٤).
(٢) «الزُّهْدُ لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا» (ص٢٦)، وَهَذَا حَدِيثٌ مُرْسَلٌ.
(٣) «تَفْسِيرُ القُرْطُبِيِّ» (١٩/ ٢٠٧).
(٤) «تَفْسِيرُ القُرْطُبِيِّ» (١٩/ ٢٠٧).

۞ **قَالَ صَاحِبُ الظِّلَالِ:** وَالطُّغْيَانُ هُنَا أَشْمَلُ مِنْ مَعْنَاهُ القَرِيبِ؛ فَهُوَ وَصْفٌ لِكُلِّ مَنْ يَتَجَاوَزُ الحَقَّ وَالهُدَى، وَمَدَاهُ أَوْسَعُ مِنَ الطُّغَاةِ ذَوِي السُّلْطَانِ وَالجَبَرُوتِ،حَيْثُ يَشْمَلُ كُلَّ مُتَجَاوِزٍ لِلْهُدَى، وَكُلَّ مَنْ آثَرَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا، وَاخْتَارَهَا عَلَى الآخِرَةِ، فَعَمِلَ لَهَا وَحْدَهَا، غَيْرَ حَاسِبٍ لِلْآخِرَةِ حِسَابًا.

وَاعْتِبَارُ الآخِرَةِ هُوَ الَّذِي يُقِيمُ المَوَازِينَ فِي يَدِ الإِنْسَانِ وَضَمِيرِهِ، فَإِذَا أَهْمَلَ حِسَابَ الآخِرَةِ أَوْ آثَرَ عَلَيْهَا الدُّنْيَا اخْتَلَّتْ كُلُّ المَوَازِينِ فِي يَدِهِ، وَاخْتَلَّتْ كُلُّ القِيَمِ فِي تَقْدِيرِهِ، وَاخْتَلَّتْ كُلُّ قَوَاعِدِ الشُّعُورِ وَالسُّلُوكِ فِي حَيَاتِهِ، وَعُدَّ طَاغِيًا وَبَاغِيًا وَمُتَجَاوِزًا لِلْمَدَى، فَأَمَّا هَذَا ﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات:٤١]: الجَحِيمُ المَكْشُوفَةُ المُبَرَّزَةُ القَرِيبَةُ الحَاضِرَةُ، يَوْمَ الطَّامَّةِ الكُبْرَى.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات:٤٠-٤١]: وَالَّذِي يَخَافُ مَقَامَ رَبِّهِ لَا يُقْدِمُ عَلَى مَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أَقْدَمَ عَلَيْهَا بِحُكْمِ ضَعْفِهِ البَشَرِيِّ قَادَهُ خَوْفُ هَذَا المَقَامِ الجَلِيلِ إِلَى النَّدَمِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ، فَظَلَّ فِي دَائِرَةِ الطَّاعَةِ.

وَنَهْيُ النَّفْسِ عَنِ الهَوَى هُوَ نُقْطَةُ الِارْتِكَازِ فِي دَائِرَةِ الطَّاعَةِ؛ فَالهَوَى هُوَ الدَّافِعُ القَوِيُّ لِكُلِّ طُغْيَانٍ، وَكُلِّ تَجَاوُزٍ، وَكُلِّ مَعْصِيَةٍ، وَهُوَ أَسَاسُ البَلْوَى، وَيَنْبُوعُ الشَّرِّ، وَقَلَّ أَنْ يُؤْتَى الإِنْسَانُ إِلَّا مِنْ قِبَلِ الهَوَى؛ فَالجَهْلُ سَهْلٌ عِلَاجُهُ، وَلَكِنَّ الهَوَى بَعْدَ العِلْمِ هُوَ آفَةُ النَّفْسِ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَى جِهَادٍ شَاقٍّ طَوِيلِ الأَمَدِ لِعِلَاجِهَا.

وَالخَوْفُ مِنَ اللهِ هُوَ الحَاجِزُ الصَّلْبُ أَمَامَ دَفَعَاتِ الهَوَى العَنِيفَةِ، وَقَلَّ أَنْ يَثْبُتَ غَيْرُ هَذَا الحَاجِزِ أَمَامَ دَفَعَاتِ الهَوَى، وَمِنْ ثَمَّ يَجْمَعُ بَيْنَهُمَا السِّيَاقُ القُرْآنِيُّ فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ؛ فَالَّذِي يَتَحَدَّثُ هُنَا هُوَ خَالِقُ هَذِهِ النَّفْسِ العَلِيمُ بِدَائِهَا، الخَبِيرُ بِدَوَائِهَا وَهُوَ وَحْدَهُ الَّذِي يَعْلَمُ دُرُوبَهَا وَمُنْحَنَيَاتِهَا، وَيَعْلَمُ أَيْنَ تَكْمُنُ أَهْوَاؤُهَا وَأَدْوَاؤُهَا، وَكَيْفَ تُطَارَدُ فِي مَكَامِنِهَا وَمَخَابِئِهَا! وَلَمْ يُكَلِّفِ اللهُ الإِنْسَانَ أَلَّا يَشْتَجِرَ فِي نَفْسِهِ الهَوَى؛ فَهُوَ -سُبْحَانَهُ- يَعْلَمُ أَنَّ هَذَا خَارِجٌ عَنْ طَاقَتِهِ، وَلَكِنَّهُ كَلَّفَهُ أَنْ يَنْهَاهَا وَيَكْبَحَهَا وَيُمْسِكَ بِزِمَامِهَا، وَأَنْ يَسْتَعِينَ فِي هَذَا بِالخَوْفِ، الخَوْفِ مِنْ مَقَامِ رَبِّهِ الجَلِيلِ العَظِيمِ المَهِيبِ، وَكَتَبَ لَهُ بِهَذَا الجِهَادِ الشَّاقِّ الجَنَّةَ؛ مَثَابَةً وَمَأْوَى: ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات:٤١]، ذَلِكَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ ضَخَامَةَ هَذَا الجِهَادِ وَقِيمَتَهُ كَذَلِكَ فِي تَهْذِيبِ النَّفْسِ البَشَرِيَّةِ وَتَقْوِيمِهَا وَرَفْعِهَا إِلَى المَقَامِ الأَسْنَى.

إِنَّ الإِنْسَانَ إِنْسَانٌ بِهَذَا النَّهْيِ، وَبِهَذَا الجِهَادِ، وَبِهَذَا الارْتِفَاعِ، وَلَيْسَ إِنْسَانًا بِتَرْكِ نَفْسِهِ لِهَوَاهَا، وَإِطَاعَةِ جَوَاذِبِهِ إِلَى دَرَكِهَا، بِحُجَّةِ أَنَّ هَذَا مُرَكَّبٌ فِي طَبِيعَتِهِ؛ فَالَّذِي أَوْدَعَ نَفْسَهُ الاسْتِعْدَادَ لِجَيَشَانِ الهَوَى، هُوَ الَّذِي أَوْدَعَهَا الاسْتِعْدَادَ لِلْإِمْسَاكِ بِزِمَامِهِ، وَنَهْيِ النَّفْسِ عَنْهُ، وَرَفَعَهَا عَنْ جَاذِبِيَّتِهِ وَجَعَلَ لَهُ الجَنَّةَ جَزَاءً وَمَأْوًى حِينَ يَنْتَصِرُ وَيَرْتَفِعُ وَيَرْقَى.

وَهُنَالِكَ حُرِّيَّةٌ إِنْسَانِيَّةٌ تَلِيقُ بِتَكْرِيمِ اللهِ لِلْإِنْسَانِ.

تِلْكَ هِيَ حُرِّيَّةُ الانْتِصَارِ عَلَى هَوَى النَّفْسِ وَالانْطِلَاقِ مِنْ أَسْرِ الشَّهْوَةِ، وَالتَّصَرُّفِ بِهَا فِي تَوَازُنٍ تَثْبُتُ مَعَهُ حُرِّيَّةُ الاخْتِيَارِ وَالتَّقْدِيرُ الإِنْسَانِيُّ.

وَهُنَالِكَ حُرِّيَّةٌ حَيَوَانِيَّةٌ، هِيَ هَزِيمَةُ الإِنْسَانِ أَمَامَ هَوَاهُ، وَعُبُودِيَّتُهُ لِشَهْوَتِهِ، وَانْفِلَاتُ الزِّمَامِ مِنْ إِرَادَتِهِ، وَهِيَ حُرِّيَّةٌ لَا يَهْتِفُ بِهَا إِلَّا مَخْلُوقٌ مَهْزُومُ الإِنْسَانِيَّةِ، مُسْتَعْبَدٌ، يُلْبِسُ عُبُودِيَّتَهُ رِدَاءً زَائِفًا مِنَ الحُرِّيَّةِ! إِنَّ الأَوَّلَ هُوَ الَّذِي ارْتَفَعَ وَارْتَقَى وَتَهَيَّأَ لِلْحَيَاةِ الرَّفِيعَةِ الطَّلِيقَةِ فِي جَنَّةِ المَأْوَى.

أَمَّا الآخَرُ؛ فَهُوَ الَّذِي ارْتَكَسَ وَانْتَكَسَ وَتَهَيَّأَ لِلْحَيَاةِ فِي دَرَكِ الجَحِيمِ حَيْثُ تُهْدَرُ إِنْسَانِيَّتُهُ، وَيَرْتَدِي شَيْئًا تُوقَدُ بِهِ النَّارُ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ -مِنَ هَذَا الصِّنْفِ- وَالحِجَارَةُ!

وَهَذِهِ وَتِلْكَ هِيَ المَصِيرُ الطَّبِيعِيُّ لِلارْتِكَاسِ وَالِارْتِقَاءِ فِي مِيزَانِ هَذَا الدِّينِ الَّذِي يَزِنُ حَقِيقَةَ الأَشْيَاءِ[1].

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ ﴾ [النازعات: ٤٠]

القُرْآنُ مَثَانِي، يَذْكُرُ الشَّيْءَ وَضِدَّهُ:

- الأَوَّلُ فَسَدَ عِلْمُهُ وَعَمَلُهُ.
- هُنَا صَحَّ عِلْمُهُ وَعَمَلُهُ، صَحَّ اعْتِقَادُهُ وَصَحَّ عَمَلُهُ.

عَنْ مُجَاهِدٍ: هُوَ الرَّجُلُ يَهِمُّ بِالمَعْصِيَةِ، فَيَتَذَكَّرُ مَقَامَهُ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، يَشْهَدُ لِهَذَا المَعْنَى قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ اللهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا شَيْئًا قَدَّمَهُ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا شَيْئًا قَدَّمَهُ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى

(١) (فِي ظِلَالِ القُرْآنِ، ٦/ ٧٩٩).

إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ».

وَكَانَ قَتَادَةُ يَقُولُ: إِنَّ للهِ -عَزَّ وَجَلَّ- مَقَامًا قَدْ خَافَهُ الْمُؤْمِنُونَ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هُوَ خَوْفُهُ فِي الدُّنْيَا مِنَ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- عِنْدَ مُوَاقَعَةِ الذَّنْبِ(١).

وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: نَزَلَتْ فِي مَنْ هَمَّ بِمَعْصِيَةٍ وَقَدَرَ عَلَيْهَا فِي خَلْوَةٍ ثُمَّ تَرَكَهَا مِنْ خَوْفِ اللهِ.

وَنَحْوُهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، يَعْنِي: مَنْ خَافَ عِنْدَ الْمَعْصِيَةِ مَقَامَهُ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ، فَانْتَهَى عَنْهَا، وَاللهُ أَعلَم(٢).

قَالَ البِقَاعِيُّ: أَيْ: قِيَامُهُ بَيْنَ يَدَيِ الْمُحْسِنِ إِلَيْهِ عِنْدَ تَذَكُّرِ إِحْسَانِهِ فَلَمْ يَطْغَ، فَكَيْفَ عِنْدَ تَذَكُّرِ جَلَالِهِ وَانْتِقَامِهِ، أَوِ المَكَانِ الَّذِي يَقُومُ فِيهِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَالزَّمَانِ، وَإِذَا خَافَ ذَلِكَ المَقَامَ؛ فَمَا ظَنُّكَ بِالخَوْفِ مِنْ صَاحِبِهِ، وَهَذَا لَا يَفْعَلُهُ إِلَّا مَنْ تَحَقَّقَ المَعَادَ(٣).

وَنَتِيجَةُ خَوْفِهِ:

﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [النازعات:٤٠]، صَحَّ اعْتِقَادُهُ فَصَحَّ عَمَلُهُ.

- ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ [النازعات:٤٠]: تُقَابِلُ طَغَى.

(١) «تَفْسِيرُ القُرْطُبِيِّ» (١٩/ ٢٠٧).

(٢) «تَفْسِيرُ القُرْطُبِيِّ» (١٩/ ٢٠٨).

(٣) «نَظْمُ الدُّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الآيَاتِ وَالسُّوَرِ» (٢١/ ٢٤٣).

- ﴿وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾: فِي الأُولَى، وَهُنَا: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ﴾[النازعات:٤٠].

قَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ التُّسْتَرِيُّ: تَرْكُ الْهَوَى مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ، وَيُسْتَشْهَدُ لَهُ بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ٤٠ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ [النازعات:٤٠-٤١] [(١)].

وَقَدْ جَاءَ فِي الأَثَرِ: مِفْتَاحُ الجَنَّةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَكَيْفَ نَجْمَعُ بَيْنَ الأَمْرَيْنِ؟ الجَوَابُ:

مِفْتَاحُ الجَنَّةِ هُوَ مُخَالَفَةُ الهَوَى، وَهَذِهِ المُخَالَفَةُ دَرَجَاتٌ، فَأَعْظَمُ مُخَالَفَةٍ لِلْهَوَى أَنْ تَقُولَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)

وَكُلُّ مَا تَهْوَاهُ لَا يَجُرُّ إِلَى خَيْرٍ؛ لِأَنَّ النَّارَ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، وَالشَّرْعُ كُلُّهُ مَبْنِيٌّ عَلَى مَا يُخَالِفُ الطَّبْعَ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ، وَذَلِكَ هُوَ المَحَارِمُ الَّتِي حُفَّتْ بِهَا النَّارُ؛ فَإِنَّهَا بِالشَّهَوَاتِ، قَالَ الرَّازِيُّ: وَالهَوَى هُوَ الشَّهْوَةُ المَذْمُومَةُ المُخَالِفَةُ لِأَوَامِرِ الشَّرْعِ، قَالَ الجُنَيْدُ: إِذَا خَالَفَتِ النَّفْسُ هَوَاهَا، صَارَ دَاؤُهَا دَوَاءَهَا، أَيْ: فَأَفَادَ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يُؤْثِرِ الحَيَاةَ الدُّنْيَا؛ فَالآيَةُ مِنَ الاِحْتِبَاكِ: أَتَى بِطَغَى؛ دَلِيلًا عَلَى ضِدِّهِ ثَانِيًا، وَبِالنَّهْيِ عَنِ الهَوَى ثَانِيًا؛ دَلَالَةً عَلَى إِيثَارِ الدُّنْيَا أَوَّلًا. وَلَمَّا كَانَ المَقَامُ مَقَامَ تَرْغِيبٍ، رَبَطَ الجَزَاءَ بِالعَمَلِ كَمَا صَنَعَ فِي التَّرْهِيبِ، فَقَالَ وَأَكَّدَ لِأَجْلِ تَكْذِيبِ الكُفَّارِ [(٢)].

﴿فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ [النازعات:٤١] لِمَنْ تَشَبَّهَ بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ،

(١) «تَفْسِيرُ القُرْطُبِيِّ» (١٩/ ٢٠٨).

(٢) «نَظْمُ الدُّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الآيَاتِ وَالسُّوَرِ» (٢١/ ٢٤٤).

وَخَافَ مَقَامَ رَبِّهِ، وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى، وَ﴿الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ لِمَنْ تَشَبَّهَ بِفِرْعَوْنَ فَطَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا.

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ: النَّفْسُ تَدْعُو إِلَى الطُّغْيَانِ وَإِيثَارِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَالرَّبُّ يَدْعُو عَبْدَهُ إِلَى خَوْفِهِ، وَنَهْيِ النَّفْسِ عَنِ الهَوَى.

وَالقَلْبُ بَيْنَ الدَّاعِيَيْنِ، يَمِيلُ إِلَى هَذَا الدَّاعِي مَرَّةً، وَإِلَى هَذَا مَرَّةً، وَهَذَا مَوْضِعُ المِحْنَةِ وَالابْتِلَاءِ(١).

وَقَدْ نَقَلَ القُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ سَبَبَيْنِ لِنُزُولِ هَذِهِ الآيَاتِ، وَالحَقُّ أَنَّ فِيهِمَا نَظَرًا، وَلَكِنْ نَذْكُرُهُمَا لِشُهْرَتِهِمَا.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: وَالْآيَتَانِ نَزَلَتَا فِي مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ وَأَخِيهِ عَامِرِ بْنِ عُمَيْرٍ.

رَوَى الضَّحَّاكُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: أَمَّا مَنْ طَغَى؛ فَهُوَ أَخٌ لِمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ أُسِرَ يَوْمَ بَدْرٍ، فَأَخَذَتْهُ الْأَنْصَارُ فَقَالُوا: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا أَخُو مُصْعَبِ ابْنِ عُمَيْرٍ، فَلَمْ يَشُدُّوهُ فِي الْوَثَاقِ، وَأَكْرَمُوهُ وَبَيَّتُوهُ عِنْدَهُمْ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا حَدَّثُوا مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ حَدِيثَهُ، فَقَالَ: مَا هُوَ لِي بِأَخٍ، شُدُّوا أَسِيرَكُمْ، فَإِنَّ أُمَّهُ أَكْثَرُ أَهْلِ الْبَطْحَاءِ حُلِيًّا وَمَالًا. فَأَوْثَقُوهُ حَتَّى بَعَثَتْ أُمُّهُ فِي فِدَائِهِ.

وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ؛ فَمُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَقَى رَسُولَ اللهِ ﷺ بِنَفْسِهِ يَوْمَ أُحُدٍ حِينَ تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْهُ، حَتَّى نَفَذَتِ الْمَشَاقِصُ فِي جَوْفِهِ -وَهِيَ

(١) (إِغَاثَةُ اللَّهْفَانِ، ١/ ٧٥).

السِّهَامُ-، فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُتَشَحِّطًا فِي دَمِهِ قَالَ: عِنْدَ اللهِ أَحْتَسِبُكَ، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: لَقَدْ رَأَيْتُهُ وَعَلَيْهِ بُرْدَانِ مَا تُعْرَفُ قِيمَتُهُمَا، وَإِنَّ شِرَاكَ نَعْلَيْهِ مِنْ ذَهَبٍ.

وَقِيلَ: إِنَّ مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ قَتَلَ أَخَاهُ عَامِرًا يَوْمَ بَدْرٍ.

۞ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا قَالَ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي رَجُلَيْنِ: أَبِي جَهْلِ ابْنِ هِشَامٍ الْمَخْزُومِيِّ وَمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ الْعَبْدَرِيِّ.

وَقَالَ السُّدِّيُّ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ [النازعات:٤٠] فِي أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَذَلِكَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ لَهُ غُلَامٌ يَأْتِيهِ بِطَعَامٍ، وَكَانَ يَسْأَلُهُ مِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ بِهَذَا، فَأَتَاهُ يَوْمًا بِطَعَامٍ فَلَمْ يَسْأَلْ وَأَكَلَهُ، فَقَالَ لَهُ غُلَامُهُ: لِمَ لَا تَسْأَلُنِي الْيَوْمَ؟ فَقَالَ: نَسِيتُ، فَمِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا الطَّعَامُ، فَقَالَ: تَكَهَّنْتُ لِقَوْمٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعْطَوْنِيهِ. فَتَقَايَأَهُ مِنْ سَاعَتِهِ وَقَالَ: يَا رَبِّ! مَا بَقِيَ فِي الْعُرُوقِ فَأَنْتَ حَبَسْتَهُ فَنَزَلَتْ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ [النازعات:٤٠][1].

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾﴾ [النازعات:٤٢-٤٣]

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ [النازعات:٤٢]:

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُقْسَمَ عَلَيْهِ كَانَ السَّاعَةَ.

مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ؟

«مَا الْمَسْؤُولُ بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»، كَمَا فِي الْحَدِيثِ، وَجَاءَ فِي حَدِيثٍ

(١) «تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ» (١٩/ ٢٠٨).

آخَـرَ: أَنَّ النَّبِـيَّ ﷺ كَانَ يَسْـأَلُ رَبَّـهُ كَثِـيرًا مَتَـى السَّـاعَةُ؟ حَتَّـى نَزَلَـتْ هَـذِهِ الآيَـةُ، فَكَـفَّ عَـنِ السُّـؤَالِ. رَوَاهُ الحَاكِـمُ عَـنْ عَائِشَـةَ، ثُـمَّ قَـالَ بَعْدَهَـا لِمَـنْ سَـأَلَ: «مَـا الْـمَسْؤُولُ بِأَعْلَمَ مِنَ السَّـائِلِ».

۞ عَـنْ عَائِشَـةَ، قَالَـتْ: «لَمْ يَـزَلْ رَسُـولُ اللهِ ﷺ يُسْـأَلُ عَـنِ السَّـاعَةِ حَتَّـى نَزَلَـتْ: ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ٤٣ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾ [النَّازِعَـات: ٤٤]»[1].

﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ [النازعات:٤٢]:

وَمَعْنَى مُرْسَاهَا: أَيْ قِيَامُهَا.

۞ قَالَ الْفَرَّاءُ: رُسُوُّهَا: قِيَامُهَا؛ كَرُسُوِّ السَّفِينَةِ.

۞ وَقَـالَ أَبُـو عُبَيْـدَةَ: أَيْ مُنْتَهَاهَـا، وَمَرْسَـى السَّـفِينَةِ حَيْـثُ تَنْتَهِـي، وَهُـوَ قَـوْلُ ابْـنِ عَبَّـاسٍ.

۞ قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: مَتَى زَمَانُهَا، وَالْـمَعْنَى مُتَقَارِبٌ[2].

﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾ [النازعات:٤٣]:

يَعْنِي: لَيْسَ ذِكْرُهَا إِلَيْكَ، تَحْدِيدُ وَقْتِهَا لَيْسَ إِلَيْكَ.

أَوْ ﴿أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾ [النازعـات:٤٣]: لَسْـتَ مَـنْ يَعْلَمُهَـا، بَـلْ أَنْـتَ مِـنْ عَلَامَاتِهَـا، فَالنَّبِـيُّ قَـالَ عَـنْ نَفْسِـهِ: «بُعِثْـتُ أَنَـا وَالسَّـاعَةُ كَهَاتَـيْنِ».

(١) «الْمُسْتَدْرَكُ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ لِلْحَاكِمِ» (١/ ٤٦).

(٢) «تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ» (١٩/ ٢٠٩).

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ بِإِصْبَعَيْهِ هَكَذَا، بِالوُسْطَى وَالَّتِي تَلِي الإِبْهَامَ: «بُعِثْتُ وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»[١].

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَآ﴾ [النازعات:٤٤]، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ [الأَعْرَاف: ١٨٧] وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لُقْمَان: ٣٤].

﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾ [النازعات:٤٥]

أَنْتَ مُخَوِّفُ مَنْ يَخْشَى السَّاعَةَ، والتَّخْوِيفُ لَا يَنْتَفِعُ بِهِ إِلَّا مَنْ كَانَ يَخْشَى السَّاعَةَ.

وَهَذِهِ الآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [يس: ١١]

فَلَمْ تُبْعَثْ لَتُعْلِمَهُمْ بِوَقْتِ السَّاعَةِ الَّذِي لَا فَائِدَةَ لَهُمْ فِي عِلْمِهِ، وَإِنَّمَا بُعِثْتَ لِتُنْذِرَ مِنْ أَهْوَالِهَا مَنْ يَكُونُ مِنْ إِنْذَارِكَ لَطفًا لَهُ فِي الخَشْيَةِ مِنْهَا[٢].

وَإِنَّمَا قَصَرَ النِّذَارَةَ عَلَى مَنْ يَخْشَى؛ لِأَنَّ غَيْرَهُ لَا يَنْتَفِعُ بِإِنْذَارِهِ، فَكَانَ كَأَنَّهُ لَمْ يَحْصُلْ لَهُ الإِنْذَارُ، وَلِهَذَا المَعْنَى أَضَافَ إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ عَرِيقٌ فِي إِنْذَارِ مَنْ يَخْشَى، وَأَمَّا غَيْرُهُ فَهُوَ مُنْذِرٌ لَهُ فِي الجُمْلَةِ، أَيْ: يَحْصُلُ لَهُ صُورَةُ الإِنْذَارِ؛ لِأَنَّهُ مُنْذِرُهُ، بِمَعْنَى أَنَّهُ لَا يَحْصُلُ لَهُ مَعْنَى الإِنْذارِ[٣].

(١) «صَحِيحُ البُخَارِيِّ» (٦/ ١٦٦).

(٢) (الكَشَّافُ، ص ١٤٧١).

(٣) «نَظْمُ الدُّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الآيَاتِ وَالسُّوَرِ» (٢١/ ٢٤٦)..

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ: وَمَدَارُ السَّعَادَةِ وَقُطْبُ رَحَاهَا عَلَى التَّصْدِيقِ بِالْوَعِيدِ، فَإِذَا تَعَطَّلَ مِنْ قَلْبِهِ التَّصْدِيقُ بِالْوَعِيدِ، خَرِبَ خَرَابًا لَا يُرْجَى مَعَهُ فَلَاحٌ الْبَتَّةَ، وَاللهُ تَعَالَى أَخْبَرَ أَنَّهُ إِنَّمَا تَنْفَعُ الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ لِمَنْ صَدَّقَ بِالْوَعِيدِ، وَخَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ، فَهَؤُلَاءِ هُمُ الْمَقْصُودُونَ بِالْإِنْذَارِ وَالْمُنْتَفِعُونَ بِالْآيَاتِ دُونَ مَنْ عَدَاهُمْ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ۚ﴾ [هُود: ١٠٣]، وَقَالَ: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا﴾ [النَّازِعَات: ٤٥]، وَقَالَ: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥]، وَأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّ أَهْلَ النَّجَاةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ هُمُ الْمُصَدِّقُونَ بِالْوَعِيدِ، الْخَائِفُونَ مِنْهُ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إِبْرَاهِيم: ١٤][(١)].

﴿لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات:٤٦]

يَوْمَ تَقُومُ القِيَامَةُ، ﴿لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات:٤٦]؛ كَقَوْلِهِ: ﴿لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ [يونس:٤٥].

كَأَنَّ اللهَ يَقُولُ: أَعْمَارُكُمْ قَصِيرَةٌ، اسْتَقْصِرُوهَا، فَانْشَغِلُوا بِمَا يَنْفَعُكُمْ، يَوْمَ تَرَوْنَ السَّاعَةَ كَأَنَّكُمْ لَمْ تَلْبَثُوا فِي الدُّنْيَا ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾[النازعات:٤٦]: كَوَقْتٍ قَصِيرٍ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ إِلَى وَسَطِهِ، أَوْ مِنَ العَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، وَهَذَا كَقَوْلِهِ: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وَكَقَوْلِهِ: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ﴾ [المؤمنون:١١٢-١١٣]

---

(١) «مَدَارِجُ السَّالِكِينَ بَيْنَ مَنَازِلِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» (١/ ١٦٤).

قَالَ قَتَادَةُ -رَحِمَهُ اللهُ-: وَقْتُ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِ القَوْمِ حِينَ عَايَنُوا الآخِرَةَ(١).

قَالَ البِقَاعِيُّ: المُرَادُ: سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ أَوَّلُهُ أَوْ آخِرُهُ، لَمْ يَسْتَكْمِلُوا نَهَارًا تَامًّا وَلَمْ يَجْمَعُوا بَيْنَ طَرَفَيْهِ، وَهَذَا كَمَا قَالَ ﷺ: «مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا كَمَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ فِي اليَمِّ فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ».

وَهَذَا تَعْبِيرٌ لَنَا بِمَا نُحِسُّهُ؛ تَقْرِيبًا لِعُقُولِنَا، وَإِنْ كَانَتِ القَاعِدَةُ أَنَّهُ لَا نِسْبَةَ لِمَا يَتَنَاهَى إِلَى مَا لَا يَتَنَاهَى، عَلَى أَنَّ الكُفَّارَ أَيْضًا يَسْتَقْصِرُونَ مُدَّةَ لُبْثِهِمْ، فَكَأَنَّهُمْ أَصْنَافٌ: بَعْضُهُمْ يَقُولُ: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ [طه:١٠٣]، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ [طه:١٠٤]، وَبَعْضُهُمْ يَتَحَيَّرُ فَيَقُولُ: ﴿فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾ [المؤمنون:١١٣]، أَوْ أَنَّ تِلْكَ أَقْوَالُهُمْ، وَالحَقُّ مِنْ ذَلِكَ هُوَ مَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ غَيْرَ مُضَافٍ إِلَى أَقْوَالِهِمْ، مِنْ أَنَّ مَا مَضَى لَهُمْ فِي جَنْبِ مَا يَأْتِي كَأَنَّهُ سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَى النَّهَارِ الكَامِلِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [يُونُس: ٤٥] عَلَى أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ذَلِكَ أَيْضًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾ [المُؤْمِنُونَ: ١١٢ - ١١٣].

هَذِهِ هِيَ، قَصِيرَةٌ عَاجِلَةٌ، هَزِيلَةٌ ذَاهِبَةٌ، زَهِيدَةٌ تَافِهَةٌ!

أَفَمِنْ أَجْلِ عَشِيَّةٍ أَوْ ضُحَاهَا يُضَحُّونَ بِالآخِرَةِ؟!

وَمِنْ أَجْلِ شَهْوَةٍ زَائِلَةٍ يَدَعُونَ الجَنَّةَ مَثَابَةً وَمَأْوَى؟!

أَلَا إِنَّهَا الحَمَاقَةُ الكُبْرَى، الحَمَاقَةُ الَّتِي لَا يَرْتَكِبُهَا إِنْسَانٌ يَسْمَعُ وَيَرَى(٢).

(١) (الطَّبَرِيُّ، ٢٤/ ١٠١).

(٢) (فِي ظِلَالِ القُرْآنِ، ٦/ ٣٨٠٢).